القيم الأخلاقية

وأثرها في تدعيم العالم الإسلامي

(نظرة مستقبلية)

دكتورة

ناهد نصر الدين عزت

دكتوراه فلسفة يونانية وعلم جمال

المكتبة المصرية

للنشر والتوزيع

٨ ش حمد ال ثاني - مساكن كفر طهرمس - الطالبية - فيصل - الجيزة

تليفاكس: ٠٠٢٠٢/٣٧٢١٦٦٢٣

محمول: ٠١١/٢٠٢٠٣٧٢٥ - ٠١٢٢/١١٥٠٤٠٨

القيم الأخلاقية

وأثرها في تدعيم العالم الإسلامي

(نظرة مستقبلية)

دكتـــورة

ناهد نصر الدين عزت

دكتوراه فلسفة يونانية وعلم جمال

٢٠١٤



للنشر والتوزيع

٨ ش حمد آل ثاني – مساكن كفر طهرمس – الطالبية – فيصل – الجيزة

تليفاكس: ٠٠٢٠٢/٣٧٢١٦٦٢٣

محمول: ٠١١/٢٠٢٠٣٧٢٥-٠١٠٨٠٤٠٥١١/٠١٢٢

Egyption_library@yahoo.com

□ اسم الكتاب : القيم الأخلاقية وأثرها في تدعيم العالم الإسلامية: نظرة مستقبلية

□ اسم المؤلف : ناهد نصر الدين عزت

□ سنة النشر : ٢٠١٤

□ الطبعة : الأولى

□ اسم الناشر : المكتبة المصرية للنشر والتوزيع

□ العنوان : ٨ش حمد آل ثاني/ مساكن كفر طهرمس/ الطالبية/ فيصل/ الجيزة.

تليفاكس: ٠٠٢٠٢/٣٧٢١٦٦٢٣

محمول: ٠١٢٢/١١٥٠٤٠٨-٠١١/٢٠٢٠٣٧٢٥

Email:Egyption_library@yahoo.com

□ رقم الإيداع : 2013/24479

□ الترقيم الدولي : 978-977-411-519-5 I.S.B.N

دار الكتب المصرية

دار الكتب والوثائق القومية فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

عزت، ناهد نصر الدين.

القيم الأخلاقية وأثرها في تدعيم العالم الإسلامي: (نظرة مستقبلية)/ ناهد نصر الدين عزت. ط١. الجيزة: المكتبة المصرية للنشر والتوزيع، ٢٠١٤.

١١١ص؛ ٢٤سم.

تدمك 978 977 411 519 5

١ – الأخلاق الإسلامية.

٢ – العالم الإسلامي.

أ– العنوان

212

رقم الإيداع/ 24479

بسم الله الرحمن الرحيم

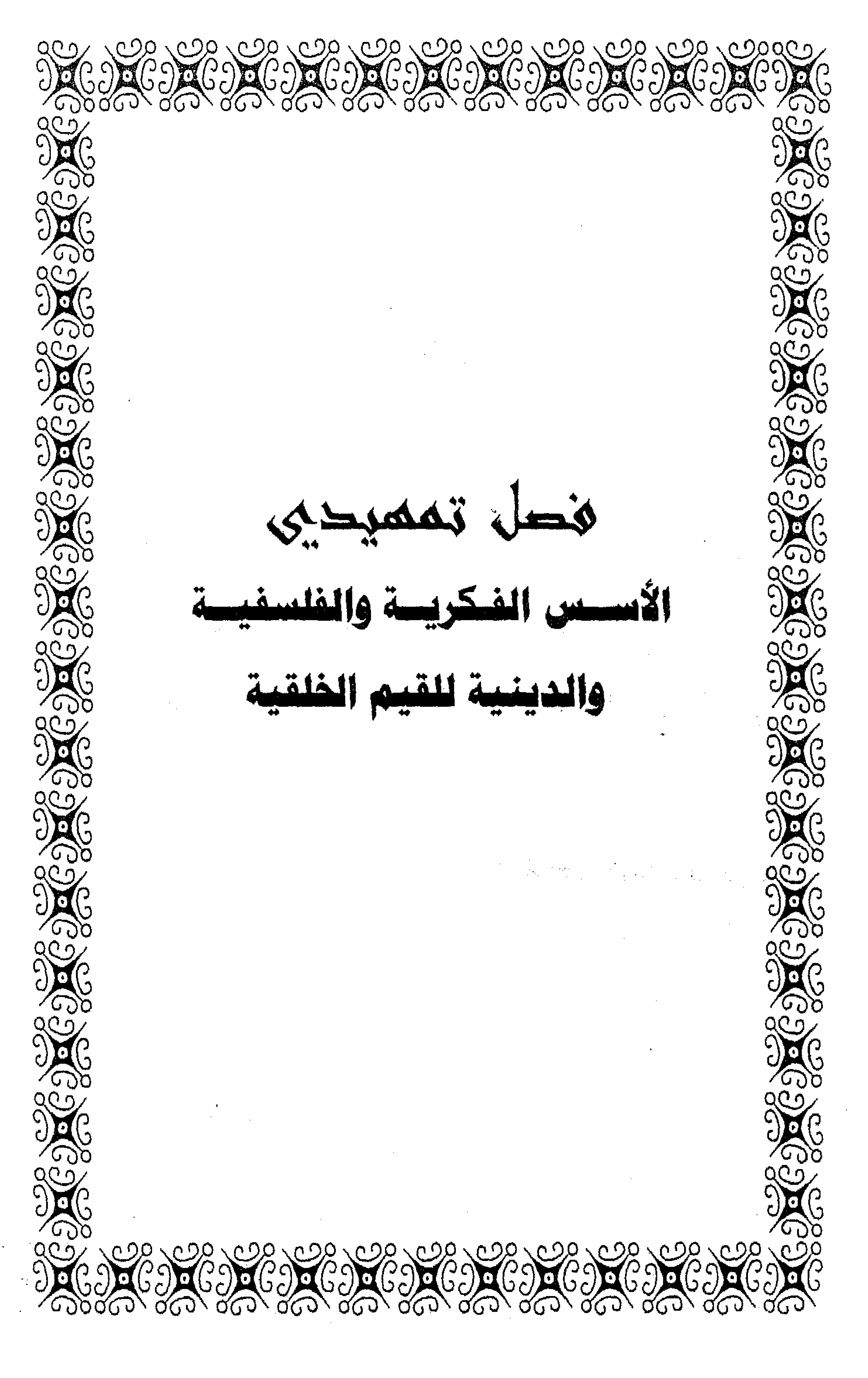
﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الفَاتِحِينَ﴾

صدق الله العظيم

إهداء

إلى كل إنسان يطلب العدالة الاجتماعية والإنسانية والحب والأخاء بين البشر، إلى محبي السلام في كل أنحاء العالم إلى الذين ضحوا في سبيل رفعة الوطن وإعلاء كلمة الحق... إليهم جميعًا أهدى مؤلفي هذا عسي أن يكون شمعة تضيء الطريق.

د/ ناهد نصر الدين عزت



فصل تمهيدي

الأسس الفكرية والفلسفية والدينية للقيم الخلقية

مُقدّمة

أولا : موضوع الدراسة

يمكن القول في البداية بأن تناول قضية القيم الأخلاقية وعلاقتها بالأديان وعلى رأسها الدين الإسلامي وإيضاح التحديات التي تواجه العالم الإسلامي من الأمور الصعبة في أغلب الأحوال ولذا كان من الواجب توجيه الأنظار نحو تلك النقطة الهامة آلا وهي القيم الخلقية لما لها أكبر الأثر في تنمية المجتمع وتحقيق النهضة لأي أمة من الأمم خاصة الأمة الإسلامية وما يواجهها من صعوبات؛ لأن القيم الخلقية هي الأساس الذي نستمد منه السلوكيات الصحيحة وبدون قيم خلقية يصبح المجتمع جسد بلا روح يمكن لأي تيار وافد أن يقضي عليه ويمنعه من التقدم والانطلاق نحو آفاق المستقبل.

ثانيًا : هدف الدراسة

تهتم هذه الدراسة بصفة خاصة بطرح العديد من القضايا التي أصبحت تسود العالم أجمع وخاصة العالم الإسلامي والعالم العربي الذي يعوقه عن التقدم، والتركيز بصفة خاصة على الشباب والنشئ لأنهم مستقبل الأمة وصانعيها.

ثالثًا : الدراسات السابقة

لم تحظ الباحثة بأي دراسة متكاملة عن القيم الخلقية وأثرها في نهضة الأمة الإسلامية سوي بعض مقتطفات من المؤتمر الإسلامي الذي عقد بدولة ليبيا عام ٢٠٠٧م.

رابعًا : المنهج المستخدم

قامت الباحثة باستخدام المنهج التحليلي النقدي من خلال عرض المعوقات التي تواجه الأمة الإسلامية والوطن العربي والتي تعوقه عن التقدم والرقي.

خامسًا: أهمية الدراسة

إن الإضافة الحقيقية لهذا البحث تكمن في أنه يسلط الضوء على نقطة مهمة أغفلها الكثير من الباحثين وهي ما يواجه العالم الإسلامي من تحديات ومشكلات تعوقه عن التقدم والرقي، ولذا حرصت الباحثة على إلقاء الضوء على هذه النقطة وما يتعلق بها من أمور أخرى جديرة بالبحث والدراسة عسى أن تكون هاديًا لنا جميعًا في المستقبل.

سادسًا: تساؤلات الدراسة

في ضوء معطيات البحث ومتطلباته يمكن تحديد تساؤلات الدراسة فيما يلي:-

١- كيف يمكننا تحديد ما يواجه الأمة الإسلامية والعربية من مخاطر وتحديات؟ وما هي الأطراف المحورية فيه؟

٢- ما هي السمات الأساسية للقيم الخلقية؟ وما يرتبط به من أطراف أخرى تؤثر فيه؟

٣- ما الأسس التي يمكننا الاعتماد عليها لتحقيق النهضة وما هي الحلول المقترحة للتوصل إلى صناعة المستقبل؟

٤- ما الآليات المطلوب توظيفها لتحقيق التواصل مع الأمم والشعوب الأخرى لإيجاد نهضة حقيقية في العالم.



فصل تمهيدي

الأسس الفكرية والفلسفية والدينية للقيم الخلقية

الفصل التمهيدي

الأسس الفكرية والفلسفية

والدينية للقيم الخلقية

مقدمة:

يناقش هذا البحث موضوعا على درجة عالية من الأهمية وفي حاجة إلى النظرة المتعمقة الفاحصة إلى ما يسود حياتنا المعاصرة من أحداث جارية تجعلنا في أشد الحاجة إلى التحصن بالأخلاق القويمة وتكاتف جميع القوى من أفراد وشعوب سواء كانوا علماء أو سياسيين أو مفكرين أو رجال دين لتكوين قوة للتصدي لما يواجهنا من مواقف مصيرية تنبئ بانهيار خلقي، ولذا نحن نحتاج إلى إرساء القيم الخلقية في شتى مناحي الحياة.

وفي البداية يمكن القول بأنه رغم أهمية "القيمة الخلقية" إلا أن هذا الموضوع لم يجد العناية الكافية من الباحثين والمفكرين رغم أنه يفسر العديد من السلوكيات التي جاءت من منطلق خلقي.

وقبل الدخول في التفاصيل علينا أولا طرح التساؤل التالي ما الرابط بين كل من الفكر والفلسفة والدين. وهل هناك نقطة يلتقون عندها؟ وإلى أي مدى؟ وما علاقتهم بالأخلاق؟

يمكن القول بأن الفكر مرحلة سابقة على الفلسفة، والدين هو الوجه الآخر المتمم لها، لأن الدين والفلسفة –بما يحتويه من فكر– وجهان لعملة واحدة وعلاقتهما بالأخلاق علاقة أساسية ومتصلة ولا يمكن الفصل بينهما ولا نقصد بالفلسفة فلسفة بعينها ولكن نقصد بها إعمال الفكر والتبصر في الأمور المختلفة بحكمة وروية، وكذلك لا نقصد بالدين ديانة محددة إسلامية أو مسيحية أو يهودية لأن جميع الأديان تهتم في المقام الأول بمكارم الأخلاق وإرساء القواعد الخلقية لدي الشعوب وهذا لأنها جميعاً دعوة موجهة من الله الواحد الأحد.

وفي البداية يمكن الإشارة إلى بعض الملاحظات الأولية التي تدل على الموضوع الذي نبحثه وطبيعته التي تتمثل فيما يلي :

١- أن هناك علاقة تفاعل – تأثير وتأثر – بين الأخلاق وكل من الفكر والفلسفة والدين ولا يمكن الفصل بينهم حيث ينجم عن هذه العلاقة العديد من المتغيرات في شتى المجالات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية بصورة لا يمكن إغفالها في عصرنا الحالي.

٢- أن نقل الموروثات الثقافية والسلوكيات والأعراف الاجتماعية من جيل إلى آخر يعكس هوية المجتمع أو بالتالي علينا الانتباه إلى تأثير التيارات الوافدة التي تحاول القضاء على هذه الجذور سواء كانت على المستوى الشعبي أو المؤسسي، وبالتالي فإن دراسة أوضاع المجتمع العربي الإسلامي وتقييم فاعلية الدور الذي تلعبه الأخلاق له أهمية خاصة في تدعيم وترسيخ القيم.

٣- إذا كان هذا البحث يلقي الضوء على الأخلاق بوصفها قيمة مستمدة من تراث المجتمع وثقافته وهويته، فإنه يجب علينا بحث هذه الأخلاق في علاقتها بمجمل الأمور المؤثرة عليها في سائر المجتمعات والشعوب وليس الإسلامية والعربية فقط بمعنى أنه ينبغي ألا نعزل الأخلاق عن الإطار العام السائد في العالم ككل.

٤- رغم اهتمامنا ببحث الأخلاق، فإنه من المهم والضروري أن نأخذ في الاعتبار المجال التطبيقي لها أي السلوك لأن أغلب الدراسات والبحوث حتى يومنا هذا يتم عرضها وبحثها في الإطار النظري فقط دون السعي إلى إيجاد المجال التطبيقي لها، وهذا يؤدي إلى عزل البحث عن الهدف المنشود له ألا وهو مواجهة التيارات الوافدة التي تسعى نحو هدم القيم الأخلاقية والموروثات الثقافية في المجتمع العربي والإسلامي ككل.

أولاً: الأساس الفكري للأخلاق

إن ما يميز البشر هو الفكر أو الوعي أو العقل حيث أن الفكر موجود في كل ما هو بشري والفكر جوهري عند الإنسان لأنه الخاصية التي تميزه عن الحيوان وكل ما هو إنساني لا يكون كذلك إلا من حيث ما يوجد فيه من فكر ويلاحظ أن الشائع عن الفلسفة أنها تنتمي إلى مجال الأفكار؛ إن الفكر أو الوعي هو جوهر الأشياء.

ولقد بدأت علاقة الفكر بالأخلاق بعد فترة عصر "الصيد" ففي عصر الصيد لم يكن الإنسان إلا صائد للحيوانات وأكلها وبعد تغير المناخ هاجر الإنسان واستقر في وديان الأنهار وبالتالي تغيرت علاقته مع الطبيعة فأصبحت علاقة رأسية، بعد أن كانت أفقية، حيث حاول الإنسان أن يتكيف مع الطبيعة من أجل تغييرها، وحدث هذا التغيير عندما تحولت إلى بيئة زراعية وهذا الإتجاه كان نتيجة التفكير العلمي فابتدع "الاسطورة" فعبد الشمس والنجوم لتوهمه أنها قادرة على تخصيب الأرض، وفي هذا الإطار ظهرت طبقة الكهنة بهدف القيام بوظيفتين: الأولى توزيع الطعام وتخزين الفائض، والثانية المحافظة على الأسطورة ولكي يمكن للكهنة ممارسة هاتين الوظيفتين ابتدعت "المحرمات" التي أصبحت معيار للحكم على السلوك والتي ترتب عليها وجود القسمة الثنائية "الخير والشر" ومن هذه القسمة بزغ القانون الأخلاقي "لن تفعل"(١). وهذا التفكير الأسطوري يعد شكل من أشكال الفكر الخلاّق والذي رغم أنه يتسم بالغرابة والخيال إلا أنه في الوقت نفسه شكل من أشكال المعرفة المحيطة بالعالم المحيط بالبشر وبما يجعله قادر على التكيف مع النظام الخلقي والعقلي السائد.

ولجوء الإنسان إلى الأسطورة يوضح أن الإنسان عاجز عن معرفة مصيره، ولهذا يلتمس من الإله العدالة والقيم الأخلاقية المنبثقة عن الإله وما يرتبط به من معايير الخير والشر(٢).

ولأن العمل الأخلاقي هو العمل الذي يطابق القيم، وهذه القسيم [illegible]
أساساً طبيعتنا البيولوجية واستعدادنا النفسي فإن قدر كبير من السلوك الأ[illegible]
يكون مرتبط بالغريزة فهو تلقائي، فهذه الأخلاق الطبيعية الموجودة عند الإ[illegible]
بالفطرة هي عنده مثال الفضيلة التي اعتبرها المَثَلْ الأعلى، ولكن بسبب استمرار
التطور وتعقيد الحياة الاجتماعية، واختلاف معيار الفضيلة الطبيعية من شخص إلى
آخر كان لابد من وجود عامل توجيه وتحكم من خارج الإنسان يفرض عليه
السلوك الخلقي وهذا ارتبط بالقانون البشري الوضعي والمُشرع الذي تلخص منهجه
في أمر الإنسان "لا تفعل" وهو قانون أقل طبيعية من الغريزة، ويتطلب جهداً أكبر
من الرغبات الطبيعية التي هي أكثر تلقائية وتتلاءم مع طبيعة الإنسان(٣).

وحيث أن الإنسان عقلاني بالفطرة، فإن معياره للتفرقة بين الخير والشر
يستند إلى الأنوار الطبيعية الذاتية، فهو إذن خير بالفطرة، وإذا ما أرتكب شراً
فعلينا أن نبحث عن أسبابه في غير الإنسان، وحيث أن العقلانية تنكر الوراثة
فالأفراد متساوون فيما بينهم بالفطرة(٤).

بمعنى أن المبادئ والغايات الأخلاقية موجودة "بالقوة" داخل كل إنسان
ولا تظهر إلى الوجود الفعلي إلا بوجود "الإرادة" التي تشير إلى الإنسان بالمعنى
الحقيقي لهذه الكلمة لأن الفاعلية أي الإرادة هي التي يتحقق من خلالها الفكرة
مثلما تتحقق الخصائص المجردة بصفة عامة.

ومن أهم الأمور التي يسعى الإنسان لتحقيق هذه الفاعلية ما يلي :

- الحاجة والغريزة أي الميل إلى إشباع الرغبة.
- تفضيل فعل شئ دون شئ آخر أي الميل نحو أمر من الأمور لحبه أو تقبل فعله.
- عواطف الإنسان والتطلع نحو تحقيق ذاته بمعنى أنني أرغب في فعل شئ ما والعمل على أن يصبح له وجوداً فعلياً لتحقيق شخصيتي من خلاله وأن أشعر بالرضا لتنفيذه وأن أحق الهدف أو الغاية من القيام بهذا العمل.

ونظراً إلى أن مصر القديمة كانت من أوائل البلدان التي إبتدعت الحضارة، فإنه يمكن أن نتبين أن الحكمة أو الفكر والرؤية الكونية قد ظهرت في مصر القديمة حيث إبتدع المصري القديم الكتابة باستعمال الصور للدلالة على الأفكار ومع التطور أصبحت الصور مربوطة على كلمات منطوقة وهذا المنهج العلمي متزامن مع التفكير الأسطوري في مصر القديمة(٦).

ولذلك نجد الكون عنده مشحون بقوة سحرية إما نافعة أو ضارة والأرواح الخيرة والشريرة وبالتالي يكون الإنسان عندما يفعل الشر غير مسئول عن أفعاله لأن القوى الغيبية هي التي تدفعه إلى هذا الفعل وقد تناول أرسطو في كتابه "الأخلاق النيقوماخية" الحرية الفكرية من خلال علاقة الفكر بالفعل الإرادي واللاإرادي، وانتهى إلى أن هناك ترادف بين ماهو إرادي وماهو حُر، بشرط وجود الباعث، لأن الفعل الإرادي ليس ممكن من غير باعث أو دافع، وبالتالي تكون الحرية الأخلاقية رغم سمتها إلا أنها محكومة بالإرادة وفي القول "أفعل" و "لاتفعل"(٧). وهذا يعني أن الفعل يكون مرتبط بالإرادة التي تدفع الإنسان إلى القيام بأي فعل أخلاقي.

ولأن التفكير يرتبط بصورة مباشرة بالأخلاق فإنه لتحقيق الفعل الخلقي لابد من توافر الشروط التالية :

أ-لابد من وجود الدوافع لإتيان هذا الفعل وهي مستمدة من التفكير والفهم وتعقل الموقف عند الإنسان.

ب-توافر العاطفة "أن يروق لي هذا الموضوع" والانفعالات (أحبه – أكرهه).

ج- أن يكون لدي القدرة على تنفيذه.

د-أن يكون لدي القوة للنفاذ إليه بسبب خيريته أو عدالته أو مميزاته أو منفعته.

هـ- أن يتوافق مع تفكيري الخاص والمتعلق بهذا الموضوع(٨).

ويلاحظ من خلال ما سبق أن الفعل الخلقي يرتبط بجانبين أساسيين :

الجانب الأول: وهو جانب ذاتي في الإنسان وهو "الإنفعال" الذي يقود الإنسان إلى عدم القدرة على التحكم في السلوك.

الجانب الثاني: وهو مجموعة الأشياء الأخرى الخارجية مثل القوانين، والمجتمع الذي أتعامل معه.

كما يلاحظ أن "البصيرة" تعد الوسيلة التي يمكن للإنسان أن ينتقل بواسطتها من مرحلة الفكر إلى مرحلة التفلسف؛ بمعنى أن "البصيرة" هي التي توضح لنا كيفية الخير الحقيقي أو الخير كما ينبغي أن يكون وهذا يكون بمثابة إلزام خلقي ذاتي نابع من الإنسان نفسه نحو تحقيق الأخلاق القويمة المستندة إلى الحكم الخلقي "وهذا يجعل الخير والشر فعلان متصلان بحرية الفرد(٩).

ثانياً: الأساس الفلسفي للأخلاق

في البداية يمكن القول بأن التقسيم والفصل بين الفكر والفلسفة هو فصل غير حقيقي لأن الفلسفة هي محتوى فكري لموضوع ما ومن هذا المنطلق فإن جوهر الفلسفة هو الفكر، وإذا أردنا البحث عن نقطة البداية بالنسبة للفلسفة كأساس للأخلاق نجد أن هذه البداية محددة بإمتناع الإنسان عن تصور "المطلق" تصوراً حسياً وبزوغ التفكير الخالص "المجرد" وحيث أن الفلسفة تجسيد للعلاقة بين المطلق والتفكير المجرد فإنها قد نشأت في مرحلة تالية للأسطورة، لأن المعبد نشأ مع نشأة الحضارة الإنسانية والذي تمت إقامته للتعبير عن المطلق، والكهنة هم المسئولون عن المعبد الذي يمثل المطلق فصوروه تصويراً حسياً على هيئة حيوان كما في مصر أو على إنسان كما هو الحال عند اليونان "زيوس" كبير الآلهة(١٠).

ويقصد بالفلسفة دراسة المبادئ الأوّلية وتفسير المعرفة تفسيراً عقلياً وكانت قديماً تشمل العلوم جميعاً، وفي العصر الحديث استقل كثير من العلوم وأصبحت الفلسفة مقصورة على المنطق والأخلاق وعلم الجمال وما وراء الطبيعة أي أنه لا يمكن فصل الفلسفة عن الأخلاق ولا ريب أن الفلسفة قديمة قدم الفكر

لأنها أولي درجات الفكر تهتم بالحكمة ومحاولة الكشف عن نواميس الكون والوجود وإن لم يستطع الإنسان إدراك سره(١١).

وأول ما أهتمت به الفلسفة فكرتي الاعتدال والأخلاق وظهرت في البداية في الحضارة المصرية القديمة ثم استمرت بعد ذلك عند اليونان حيث كتب عنها هوميروس وهيزود اللذان أكدا علي فكرتي الاعتدال والأخلاق، فنجد الآلهة عند هوميروس ذات طابع خلقي، وغير مسئولة عن الخطيئة، أما فكرة العدالة فهي تظهر عند هيزود في قصيدته "الأيام والأعمال" ولقد وجدت "فكرة العدالة" صدى واسع لدى سقراط وأفلاطون كما نجد هيزود يقول بفكرة ترتيب زيوس للبشر في مراتب فيوجد في المرتبة الأولى معدن الذهب النفيس، وفي الثانية معدن الفضة، وفي الثالثة معدن البرونز، ثم خلق زيوس بعد ذلك مخلوقات من حديد(١٢).

وهذا الترتيب نجده عند أفلاطون في محاورة الجمهورية حيث ربط بين معدن الشخص والدرجة الخُلقية فكلما كان من معدن نفيس كلما كان في مرتبه خُلقية أعلى، حيث خص الفلاسفة بالمعدن النفيس "الذهب" لأنهم القدوة والمثل.

وحينما نتحدث عن "الأخلاق" في مجال الفلسفة نجد الفلاسفة لم يوافقوا على النظرة الوصفية للأخلاق باعتبار أن موضوعها هو تحديد القواعد التي يسلك الإنسان بمقتضاها في الواقع أي أن الأخلاق عند الفلاسفة ليست مجرد دراسة تقريرية للعادات والطباع الخُلقية السائدة بين الناس، لأن الأخلاق عند الفلاسفة تكون في "المُثُل العلى" وبيان الكمال الخلقي، وتشريع القانون الخلقي، أي أن الأخلاق تنحصر في نظرية "المُثُل الأعلى"، أو هي الدراسة المعيارية للخير والشر وأوضحوا أن موضوع الأخلاق هو قيمة الخير لأن الأخلاق علم عقلي يدرس ما ينبغي أن يكون، وحيث أن أحكام القيمة لا تخلو من "الذاتية" فقد أصطبغت الأخلاق بصبغة فلسفية شخصية، وأصبح هدف كل فيلسوف أن يتبنى لنفسه "مذهباً أخلاقياً" جديداً يعارض به الأخلاق القائمة ويحاول من خلاله أن يُشَرِع لغيره من الناس إلا انه رغم ذلك توجد حقيقة واقعية وهي أن "الأخلاق" عند

الناس تتمثل بوضوح في القواعد التي يأخذون بها هم أنفسهم في سلوكهم العادي دون أن يهتموا بآراء الفلاسفة النظرية ومذاهبهم الأخلاقية(١٣).

ورغم أن علم الأخلاق هو الذي يقرر القيم العليا فإن علم النفس يُعد ضمن العلوم التي تختص بالقيم الوسيلية، إلا أنه في الواقع توجد نقطة تلاقي بينهما وهي أن علم الأخلاق يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالسلوك الذي هو مبحث من مباحث علم النفس، فالعمل الأخلاقي هو العمل الذي يطابق القيم، وهذه القيم يقررها أساساً طبيعتنا البيولوجية واستعدادنا السيكولوجي ويُعد الانفعال من أكثر الأمور الدافعة للسلوك ولقد تنبه أرسطو إلى الأثر السيء للإنفعالات المكبوتة على السلوك وبما يؤدي إلى إتيان الفعل السيء، وأنه يجب على الإنسان أن يسعى إلى إخراج ما يحبسه من إنفعالات قد تسبب له المرض أو الألم إذا استمر في حبسها وكبتها وسمي هذه العملية باسم "التطهير" ويقصد بها التعبير الحر الطليق عن الإنفعالات وذلك بوسائل طبيعية مثل البكاء أو الكلام عن الأمر الذي يضايقه، وهذا نجده في التحليل النفسي حديثاً(١٤).

ولقد تناول أرسطو في كتابه "الأخلاق النيقوماخية" الحرية العقلية من خلال العلاقة بين الفكر، وبين الفعل الإرادي واللإإرادي، كما جاء سقراط بفكرته المحورية وهي أن "لكل شيء ماهية" ومهمة العقل إكتشاف هذه الماهية" أي إكتشاف الجوهر الذي يختص به الموضوع الذي يتناوله حيث تساءل ما الخير؟ ما التقوى؟ ما الفضيلة؟ ما العدالة؟ ولكنه كان عاجزاً عن اكتشاف هذه الماهية فتركها معلقة فَحُكِم عليه بالإعدام بتهمة إفساد الشباب(١٥).

وحينما نتأمل آراء الفلاسفة نلاحظ الاهتمام بالحُكم الخُلقي أي لابد أن يعرف الإنسان ماهو خير وماهو شر ولذلك كانت الأخلاق قديماً تقوم على مبدأ إلتزام كل فرد بواجبه — نحو الدولة بصفة عامة — فالمواطن الأثيني كان يؤدي ما يُطلب منه.

ولأن البصيرة هي التي ينبغي أن تقودنا إليها الفلسفة في تميزها عن هذه المُثل العُليا، فإن العالم الحقيقي هو كما ينبغي أن يكون، وأن الخير ليس تجريداً وإنما هو مبدأ عام قادر على تحقيق نفسه(١٦).

ويلاحظ أن سقراط قام ببحث مسألة الضعف الخُلقي، ويقصد بها الحالة التي لا يستطيع الإنسان فيها أن يعمل ما يعتقد أن من الواجب عليه أن يعمله، بينما نجد نفس الشخص يستطيع فعل ما ينبغي عليه في مواقف أخرى ولقد أوضح سقراط أنه لاشيء يسمى بضعف الإرادة ولكن هذا الفعل يرجع إلى أن الشخص لم يمكنه التفرقة بين أحكام القيمة والرغبات، وهذا يرجع إلى أنه إذا كانت الأحكام الخلقية إرشادات فردية، فإن هذا سيؤدي إلى صعوبة تحديد أي الأحكام الخلقية يقبل، وإذا حدد الحكم الذي يقبله عندئذ سوف يتحقق إتيان الفعل الخُلقي، وبالتالي لن يوجد مجال للتحدث عن ضعف الإرادة، وتعد هذه إحدي الطرق الزائفة للتخفيف من حدة الصعوبات الخُلقية وعدم استطاعة الشخص إتخاذ قرار خُلقي(١٧).

وذهب أفلاطون في "جمهوريته" إلى أن الذي يجعل الشخص شرير يجعله في نفس الوقت عُرضة لأكبر ضرر يمكن أن يصيبه، وهذا الرأي خاطئ لأن أفلاطون خلط بين موضوعين الأول يرتبط بمصالح الآخرين، والثاني يرتبط بالمُثل العُليا المتعلقة بالسمو الإنساني، فمن اللأسباب التي تجعل من الخطأ قصر لفظ "المسألة الخلقية" بناء علي أمر يتعلق بتعريف الألفاظ وبناء على المسائل المتعلقة بتأثير تصرفاتنا في مصالح الآخرين(١٨). وهذا الخلط وقع فيه أفلاطون حيث اعتقد أن "الملك الفليسوف" سيؤثر في تحقيق مصالحهم الحقيقية.

ولذا علينا مراعاة عدم الخلط في الحالات التالية :

١- استخدام كلمة حسن بدلاً من كلمة يجب للتعبير عن المُثل العُليا.

٢- التمييز بين الأحكام المتعلقة بالواجب والإلزام، وبين الأحكام المتعلقة بالخيرية والكمال ونحوهما.

٣- التمييز بين الأحكام الخُلقية التي يمكن أن تُدعم مصالح الآخرين، وبين تلك الأحكام التي لا يمكن أن تُدعم ذلك، ويقول ابن رشد عن ذلك:- "إذا كانت غاية الإنسان متعة الحواس فإن الإنسان في هذه الحالة يكون قريباً من مجال الأفكار غير المفحوصة أي "المحرمات" ومعنى ذلك أن الوقوف عند المتع الحسية ينمي المحرمات ويلاحظ أن ابن رشد في "مدينته المثالية" لم يكن راغباً في إبعاد الجمهور عن مجال الفلسفة، ولكنه اشترط عدم الإنغماس في المُتع الحسية، لأن من شأن هذه المُتع منع الإنسان من التحكم في ذاته حيث يؤدي التحكم إلى السماح للإنسان بمجاوزة ماهو حسي إلى ماهو عقلي.

الأساس الديني للأخلاق :

إن الشرائع السماوية جميعاً مهما تنوعت طرقها واختلفت مظاهرها تتلاقى جميعاً في أصولها العامة، وتتحد في جوهرها الذي لا يختلف لأنها جميعاً تنبع من مشكاة واحدة، فالمشرع واحد هو الله سبحانه وتعالى وإن تعددت الرسائل وتنوعت الكتب إلا أنها جميعاً تدعو إلى التوحيد الخاص والإيمان الحق وإتباع الفضائل السامية التي تهذب الروح وتُزكي النفس وتُحيي الضمير وبما يجعل للفضيلة أهمية لأنها أثر من آثار الإيمان وثمرة من ثمراته.

وتوجد حقيقة ثابتة في الأديان كلها وهي أن الرُسل جميعاً اتفقوا على مطلب واحد في رسالاتهم جميعاً ألا وهو الدعوة إلى مكارم الأخلاق"[١٩].

ولأن إرتكاب الذنوب يُعد من مظاهر الضعف البشري فقد اقتضت رحمة الله وعنايته أن ينتشل الضعيف من ضعفه لتستمر عمارة الكون قوية وسوية، وذلك من خلال فتح باب رحمته للمذنبين، وهذا يدل على مراعاة الطبيعة البشرية المتسمة بالضعف والتي تدفع الإنسان إلى الخطأ والله سبحانه كان يرسل لقوم رسولاً بالهدى والبينات إذ فسق هؤلاء القوم وضلوا السبيل واتخذوا من دون الله أرباباً، ولقد كان مبعث الرسل عليهم السلام ينحصر في قسم ضيق من المعمورة،

وكان كل دين ينقسم إلى عقائد وعبادات وأخلاق ومعاملات، فأما العقائد فظلت واحدة في الأديان كلها وهي الإيمان بالله وبالروح وبالبعث.

وأما العبادات فتحورت بعض الشيء بتسلسل الأديان وإن بقيت قريبة الشبه من بعضها البعض، ورغم أن العبادة تكون بين الفرد وربه إلا أنها تتصل بالجماعة في أن الأفراد من أهل الدين الواحد يؤدها لله على وتيرة واحدة وهي لذلك دليل على أن هذا الفرد على دين الجماعة.

وقد تناولت الأديان جميعاً الأخلاق مع خلاف بينها في الشدة والهوادة في الأمر بها أو النهي عنها، وإن جعلت المثوبة عليها والجزاء عنها في الدار الأخرة وليس في الدنيا.

وهذه العقائد والعبادات والأخلاق والمعاملات بما اشتملت عليه الأديان إنما نزل به الوحي على الرسل من عند الله وهي لذلك ثابتة في أصولها لا يصح أن تخضع لحكم التطور، وهذه الأديان المُنزّلة نجد على غرارها سائر الأديان غير المُنزّلة كالبوذية والبرهمية التي ينقسم كل منها أيضاً إلى عقائد وعبادات وأخلاق ومعاملات[٢٠]. إلا أنه يمكن القول بأن الدين الإسلامي يُعد أكثر الأديان المُنزّلة تنظيماً للمعاملات وتهدف الرسالة الإسلامية إلى التدبير النفسي والاجتماعي وتنظيم الحياة الإنسانية أي الإصلاح الخُلقي الاجتماعي العام والدعوة إلى الأخذ بالنظرة الشاملة والفكرة الجامعة وعدم الاكتفاء بالنظرة الجلائية للأمور المختلفة والتي على أساسها يتم تنظيم المجتمع بكل مستوياته الفكرية والاجتماعية[٢١].

إن القرآن ليس نظرية في شئون السياسة والاقتصاد كما أنه ليس مجرد منهج في الأخلاق والسلوك ولكنه أسلوب حياة تهدف نحو استثمار كل موروث الخير في قلوب الناس للإستفادة منه في إحداث تغيير في الإنسان من خلال خلق العواطف النبيلة التي تسمو به علي مطالب الجسد وتكبح فيه نوازع الشر، وهذا ما يجعل من الإسلام البناء الإلهي المتكامل الذي يُزكى في الإنسان القيم والتوافق

بين الفكر والعمل، وتأصيل جذور الحب والتفاؤل والخير والجمال وغير ذلك من القيم المختلفة التي يتحقق من خلالها تلبية احتياجات البشر(٢٢).

إن المطلب الأعلى الذي يسعى إليه كل إنسان هو السعادة وأعظم الأسباب لبلوغ ذلك هو الحصول على الخير ودفع كل شر، وللوصول إلى ذلك يحتاج إلى عنصرين الإيمان والعمل الصالح، وهذا يرجع إلى أن الإيمان بالله الإيمان الصحيح هو الدافع نحو العمل المُثمر الصالح المُصلح للقلوب والأخلاق والذي يحقق للإنسان السرور والبُعد عن القلق والهم والأحزان(٢٣).

ومن الأسباب التي تزيل الهم والقلق الإحسان إلى الآخرين بالقول والفعل الصالح الذي يجلب الخير ويدفع الشر ولهذا يجب على الإنسان أن يعمل على تحقيق الأمور الصالحة والبُعد عن الأمور الضارة وهذا ما جعل الإسلام يؤكد على مكارم الأخلاق وذلك يتضح في العديد من الأمور أولها الحث على مكارم الأخلاق وهذا يتضح في قوله (ص) "إنما بعُثت لأتمم مكارم الأخلاق" مع الإهتمام بوضع نظام أخلاقي يتبعه البشر :

١- أنه جعل محمد (ص) بسلوكه وأخلاقه قدوة حسنة علينا اتباعها حيث قالت عنه السيدة عائشة رضي الله عنها "كان خُلقه القرآن".

٢- أنه جعل ابتغاء وجه الله ونيل رضاه غاية منشودة في الحياة الإنسانية ويجعل ذلك مقياساً سامياً للأخلاق.

٣- التأكيد على أن الأخلاق موجودة بالفطرة في كل إنسان وبالتالي تتأصل الأخلاق في الإنسان بالتحريض أو الترغيب.

٤- مطالبة الإنسان بإقامة نظام للحياة يقوم على المعروف ولا يشوبه شيء من المنّكر، والدعوة إلى فعل الخير في كل زمان ومكان، وإشاعة هذا الخير في العالم(٢٤).

ومما لا شك فيه أن "الدين ونزعة الإيمان موجودة داخل الإنسان بالفطرة منذ رأى الإنسان مشرق الشمس ومغربها وسَبْح النجوم في أفلاكها فلا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار".

ومنذ أن رأى الإنسان في نظام هذا الكون أسلوب عجيب عجز عقله الضعيف وعلمه المحدود عن إدراك كنهه أو تفسيره عندئذ آمن بأن هذا الكون المليء بالمخاوف والآمال لابد أن يكون فيه قوة أعظم من الكون ذاته ومن كل ما فيه من موجودات مصيرها الموت — وهي السبب في وجود ذلك الكون وفي تدبيره ولذلك يجب عليه طاعته وعدم إغضابه بفعل الشر والسعي نحو إتيان الخير[٢٥].

إن المنهج الإسلامي لا خلاف عليه حيث وضع الإسلام منهجاً للحياة سواء في العقيدة أو العبادة التي هي ثمرة من ثمار التوحيد في السلوك حيث بين الإسلام منهج الحياة للفرد مثلما وجه عناية شديدة للعلاقات بين هؤلاء الأفراد كي ينشأ المجتمع الصالح القوي المستمد من أفراد صالحين أقوياء لأن الإيمان ليس مجرد نظرية ولكنه سلوك يُترجم به الإنسان مدى إيمانه وقوة عقيدته، ومن هذا المُنطلق لابد على الإنسان المسلم أن تكون الأخلاق الحسنة منهاجاً وسلوكاً يلتمسه في كل وقت سواء في السر أو العلن.

وهذا جعل "المعاملات" ليست منفصلة عن العقيدة ولا منفكة عن العبادات بل أن الرسول (ص) يؤكد أن المعاملة الطيبة تتويج للعقيدة الصحيحة والعبادات الصادقة وهذا يتلخص في قوله (ص) "الدين المعاملة". وهذا يرتبط بدوره بالعمل الصالح وهذا يتضح في قوله تعالى : "والعصر إن الإنسان لفي خُسر، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات. وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر " صدق الله العظيم. وهذا المعني يتسع ليشمل كل خير يقوم به الإنسان.

وهذا مستمد من قوله تعالى "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة" وهذا معناه التحلي بالأخلاق القويمة الحسنة ولذا يقول سبحانه وتعالى

لنبيه" ولو كُنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك" ومن قول الرسـول (ص) "بشروا ولا تنفروا يسروا ولا تعسروا"[٢٦].

لأنه كم هو جميل أن يشعر الناس فيما بينهم بأن التعامل يأتي من منطلق أنك تحب له الخير وتخشى عليه من البشر.

ولهذا كان من سُنن الهدَىِ الإسلامي مراعاة النفسيات حيث توجد ألوان من نفوس متباينة متغايرة لكل منها عند القرآن علاج خاص فالنفوس الخّيرة المؤمنة يرُبيها القرآن تربية خاصة تربية مثالية قوية تتواءم مع قوتها وإيجابيتها وأشرفها سيد الخلق محمد (ص) الذي قال "أدبني ربي فأحسن تأديبـي".

وهناك في المقابل نفوس هشة ضحلة الإيمان ضعيفة البنيات يخُصها القرآن بالحكمة والأمثلة الرائعة وجليل التوجيه حتى تنفعل بما يُقدم لها وتتشبع به فيستقيم عودها ويتكامل بنيانها وهذا الأسلوب القرآني هو تربية إلهية حيث يقدم لنا نماذج وأمثلة لصنوف من البشر ليسوا على شاكلة واحدة منهم من أتـاهم الله الـدين والهداية فصلح حالهم ومنهم من كان منافقاً يُظهر خِلاف ما يُبطن ومنـهم مـن يتسم بالرياء الذي هو مرض من أمراض المجتمع يدل على إنهيـار في الشخـصية وجُبن في الأخلاق يحاول بالخداع أن يصل إلى متعة ذاتية أو كسب شخصي حتى ولو أهدر في سبيل ذلك إنسانيته وكرامته وعزة نفسه[٢٧].

ومنهم من يعرف الخير والشر ولكنه يتبع الشهوات فهو أضل سبيلاً مـن الأنعام وهذا يتضح في قوله تعالى : "ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها، ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون ها أولئـك كالأنعام بل هم أضل، أولئك هم الغافلون"[٢٨]. وهذا بسبب أنهم يتجاهلون سُنن الفطرة وحدود الحاجة الطبيعية في الأكل والشُرب والشهوات فلا يقفون عند قدر الحاجة التي تحفظ بها الحياة الشخصية والنوعية، وبالتالي هـم عبيـد للـشهوات ويسرفون في كل ذلك إسرافاً يتولد عنه أمراض كثيرة مما نقابله الآن في مجتمعنـا المعاصر (إيدز – سرطان – أوبئة ...الخ). والقرآن في أكثر من موضع يحـذرمن

هذه العاقبة وليس معنى ذلك الإعراض عن الدُنيا ولكنه دعوة للإعتدال والبُعد عن الإسراف وهذا ما نجده في الدعوة إلى العمل للدين والدُنيا "اعمل لدُنياك كأنك تعيش أبدا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا"، الفيلسوف العلامة محمد فريد وجدي في مقدمة المصحف المفسر تحت عنوان "الدنيا في نظر القرآن" ما من فيلسوف أو شاعر أو متأمل الوجود إلا وحقر الدنيا واشتكى منها لتوالي آفاقها وتتابع حسراتها فلا لذة فيها إلا وهي مشوبة بألم، ولا راحة إلا وهي مصحوبة بتعب فلم تصفو لملك ولا عالم ولا جاهل، ولكن الناس مالكهم ومملوكهم وعالمهم وجاهلهم ومؤمنهم وكافرهم وإن اتحدوا في الذمُ إلا أن طرائقهم فيها على غاية في التناقض، اتحدوا كلهم في المقدمة واختلفوا في النتيجة، فمنهم المتكالبون عليها، المتفانون في جمع حطامها فكان ذلك التكالب مؤدياً إلى التقاطع والتنابذ وتعمد الشرور التي تزيد دنياهم نقصاً وحياتهم تنغيصاً وهو حال شديد التناقض الواقعون فيه أشد الناس قدحاً لأنفسهم وعجباً من حالهم، ومن الناس من عرف للدنيا هذه الحال، فانقطع عنها ونبذها ولم يعبأ منها إلا بما يَسُد الخلة ويقيم الأود. ويلاحظ أنه إذا كان القسم الأول شديد التناقض، فإن الثاني مُفرط لا يلبث أن يقع تحت سيطرة القسم الأول، لأن الدنيا لمن غلب ولا غلب إلا بمادة[٢٨].

ولكن الإسلام جاء للناس بهذين المبدأين، فأتى للأولين من أنواع العبر "العظة" بما يقتلع حُب الدنيا من أنفُس المتهورين المغُالَين في حبُها، ويرُيهم حقارتها ونقصها وهذا يتضح في قوله "وما الحياة الدُنيا إلا مُتاع الغرور" وأيضاً "وما الحياة الدنيا إلا لعبُ ولهو" وفي نفس الوقت نجده سبحانه يشفع هذه الآيات بما يجب على الإنسان أن يعلمه في دنياه من سعي وراء الحصول على المادة حتى لا يقع أهل الدين تحت إسر الأمم المادية" كما هو حالنا الآن" فقال تعالى "ولاتنس نصيبك من الدُنيا" وسمي المال خيراً ما دام المقصود منه طلب الحق وسماه فضلاً، والمال لم يكن خيراً ولا فضلاً من الله تعالى إلا لأنه مكتسب من حلال وليس مأخوذ بقطع

رحم ولا بمنافسة تَجُر إلى الخراب بهذا المنهج الرائع والحكمة البالغة قدم لنـــا الله سبحانه الوسيلة الصحيحة للحياة الفاضلة **أولاً**: بالبُعد عـــن إتبـــاع الـــشهوات والإغراق فيها وعدم الإنغماس في لذائذ الدنيا.

والثاني: هو السعي وطلب الرزق ولكنه من خلال مراعاة الضمير الـــذي يبعدنا عن المال الحرام أو الظلم للبشر وهذا أدى إلى منهج يؤسس به الله تعـــالى مدينة فاضلة قامت على الحرص على الفضيلة حتى قال الله تعـــالى في المـــسلمين "كنتم خير أمة أخرجت للناس"(٢٩).

وبذلك نلاحظ أن القرآن قد راعى الجانب الغريزي في الإنسان الـــذي يدفعه إلى نشدان المادة والتماس اللذة، وفي نفس الوقت يرعى الجانب الروحـــي الذي يتطلع إلى العمل الصالح والتماس المغفرة. وليس المقصود هنا العمـــل فقـــط ولكن المقصود وجود باعث للعمل لأن العمل حركة آلية لا يختلف فيها الإنسان عن الآلة، إلا بالباعث والقصد والغاية لأنه لا عمل بلا عقيدة، ولا صلاح بغـــير إيمان. ومنذ القِدم حتى يومنا هذا وإلى الأبد ستظل هناك معركة أبدية بين الخبيث والطيب، بين البشر والخير. ولذلك كانت الكلمة الطيبة دعوة أو حركة أو عمل هي شجرة مثمرد لا ينقطع ثمرها أبداً، والخير الأصيل لا يموت مهما زاحمة الـــشر وقطع عليه الطريق يقول تعالى "ألم ترى كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ومَثُل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة أجُتثت من فـــوق الأرض ما لها من قرار" صدق الله العظيم.

ومن الفضائل الاجتماعية التي يدعو إليها الإسلام الوفاء بالعهد والحفـــاظ عليه، وجعل نقض العهد نقيصة حذر من عاقبتها وهذا يجعل كل فرد مسئول عن ذاتيته وعقيدته وسلوكه(٣٠).

مراجع الفصل التمهيدي

١- د/ مراد وهبة – مُلاك الحقيقة المطلقة – إصدار الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٩ ص ٤٢ – ٤٣.

٢- جيمس هنري برستيد – فجر الضمير – ترجمة د/ سليم حسن سلسلة الألف كتاب – العدد ١٠٨ – مكتبة مصر ب ت ص ١٢٧.

٣- جون كارل فلوجل – الإنسان والأخلاق والمجتمع – ترجمة/ عثمان نويه مراجعة د/ سعيد الغزالي – دار الفكر العربي ب ت ص ٢٤.

٤- د/ مراد وهبة – مرجع سابق ص ٢٠.

٥- د/ محمد حسين هيكل – الإيمان والمعرفة والفلسفة – دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٤ ص ٣٥.

٦- د/ مراد وهبة – مرجع سابق ص ٢٩٥.

٧- نفس المرجع السابق ص ١٧٢.

٨- د/ محمد حسين هيكل – مرجع سابق ص ٢١.

٩- نفس المرجع السابق ص ٣٥.

١٠- د/ مراد وهبة – مرجع سابق ص ١٦٨.

١١- جيمس هنري برستيد – مرجع سابق ص ١٧٩.

١٢- هنري سد جويك – المُجمل في تاريخ علم الأخلاق – جـ١ – ص ص ٨٤-٨٥.

١٣- د/ زكريا إبراهيم – الأخلاق والمجتمع – الدار المصرية للتأليف والترجمة سنة ١٩٦٦ ص ص ٣-٥.

١٤- نفس المرجع السابق ص ٤١.

١٥- د/ مراد وهبة – مرجع سابق ص ١٦٦.

١٦- د/ محمد حسين هيكل – مرجع سابق ص ٢١.

١٧- الحرية والفكر تأليف ر.م هير — ترجمة يوسف ميخائيل أسعد — دار الفكر العربي بمصر ب ت ص ٩٦.

١٨- نفس المرجع السابق ص ١٩٨.

١٩- أمين الخولي — من هدي القرآن — القادة والرسل — أمين الخولي — دار المعرفة بالقاهرة سنة ١٩٥٩ — ص ١٦.

٢٠- د/ محمد حسين هيكل — مرجع سابق ص ص ٣١-٣٣.

٢١- أمين الخولي — مرجع سابق ص ١٧.

٢٢- نفس المرجع السابق ص ٢٠.د

٢٣- نفسه ص ١١.

٢٤- مصطفى محمد طحان — النظام الإسلامي منهاج متفرد - الهيئة العامة للكتاب ب ت، ص ٣٧.

٢٥- د/ محمد حسين هيكل — مرجع سابق ص ٢٠.

٢٦- محمود بن الشريف — الأمثال في القرآن — دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٥ ص ٥١.

٢٧- نفس المرجع السابق ص ٥٢.

٢٨- سورة الأعراف أية ١٧٩.

٢٩- محمود بن الشريف — مرجع سابق ص ٥٣.

٣٠- نفس المرجع السابق ص ٥٤-٥٥.



الفصل الأول

التحديات التي تواجه العالم الإسلامي وكيفية معالجتها

الفصل الأول

التحديات التي تواجه العالم الإسلامي

مقدمة:

يواجه العالم الإسلامي في وقتنا الحاضر العديد من التحديات التي لها أكبر الأثر في توجيه مستقبله ومصيره وتحديد مكانته في العالم أجمع الأمر الذي يحتم علينا كمسلمين بصفة عامة وعرب بصفة خاصة العمل من أجل بناء الأمة الإسلامية في محاولة للتغلب على ما يحوطنا من عقبات وتحديات والانطلاق نحو الارتقاء بشعوبنا لنصرة الإسلام ووضعه في المصاف الملائم له في شتى المجالات سواء كان ذلك فكرياً أو ثقافياً أو اجتماعياً أو اقتصادياً أوسياسياً، وهذا جميعه يستند في المقام الأول إلى القيم الأخلاقية ليس بوصفها أساس للدين ولكنها كمنهج وأسلوب حياة فالقيم الأخلاقية تُعد من أهم الركائز والدعائم التي يمكننا الانطلاق من خلالها لتحقيق ما نصبو إليه من تقدم وُرقي في شتى المجالات.

وإذا نظرنا إلى الوطن العربي نظرة متعمقة بوصفه قلب الأمة الإسلامية الذي يحتاج إلى تقويته وإعادته إلى ما كان عليه من نهضة في العصور السابقة خاصة وأن لديه العديد من المقومات والخصائص التي تميزه عن الأمم الأخرى مثل البيئة الطبيعية المتميزة بالموقع الإستراتيجي وعدم وجود عوائق طبيعية تفصل بين الدول المختلفة في مساحة ممتدة تسمح بتوافر العديد من المحاصيل التي لو تم توظيفها جيداً لتحقق التكامل الاقتصادي بين هذه الدول بالإضافة إلى ما يزخر به الوطن العربي والإسلامي من كنوز طبيعية حباها الله من بحارٍ وأنهار وتطل على مناظر طبيعية خلابة، وكذلك وجود العديد من الثروات مثل البترول، والمعادن المختلفة بما يسمح بقيام صناعات في شتى المجالات بشرط وجود الإرادة والعزيمة

والرؤية الواضحة لأولي الأمر والتي نحتاج منهم إلى التمسك بكتاب الله والنظر إليه نظرة شاملة موضوعية تستند إلى العلم والفكر المتقدم.

وإذا نظرنا إلى العالم الإسلامي سوف نجده محاط بالعديد من التحديات والمخاطر وعلى رأسها الغزو الفكري والثقافي وتهديد الهوية والإستشراق والأزمات الاقتصادية بسبب الحروب والصراعات داخل الوطن العربي ذاته وهذا ما سوف نحاول أن نتبينه فيما يلي:-

التحدي الأول :الارهاب

من الدعاوى المغُرضة عن الإسلام أنه قد تمت إقامته بحد السيف وهذا الرأي عار تماماً من الحق والحقيقة ذلك أن الإسلام هو دعوة للتعايش مع جميع البشر ولم يفرض نفسه بالقوة أو بالقهر ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾{النحل/١٢٥}.

حيث أعتمد الإسلام على المنطق والحكمة بالاحتكام إلى العقل الذي كرم الله به الإنسان وفضله به على كل العالمين أما الإنسان فبالعقل أستحق من الله منحه نعمة الاختيار "ليميز الخبيث من الطيب" فكان بذلك متميزاً عن غيره من الكائنات فقد دعا القرآن إلى تحكيم العقل والاسترشاد بنوره الذي أودعه الله فيه وأن يكون التدبر أساس العمل والتحرك، وهذا أسمى تطبيق لمفهوم الحرية.

ولذا علينا فحص الإدعاء بأن **الإسلام أعتمد على السلاح في نشر دعوته** وبالتالي ربطه بالإرهاب رغم أن الإرهاب سلوك بشري لا يرتبط بجنسية أو هوية أو دين محدد فنجد بعض الأشخاص يسلكون مسلك يتسم بالإرهاب في أغلب المجتمعات وفي كل العصور، ووجود هذا الإدعاء يرجع إلى الجهل بالإسلام وتعاليمه السمحة التي تدعو إلى السلم والدليل على ذلك أن الإرهابيين يجدون المساندة والدعم المادي والمعنوي من أعداء الإسلام الذين يزعمون حمايتهم

للإنسان وتطبيق سياسة **حقوق الإنسان** مما أدي إلى انعزال مجتمعات الأمة الإسلامية وتهميش دورهم وفعاليتهم في العالم ككل وهذا سببه النظرة الخاطئة إلى الإسلام والمسلمين خاصة في الدفاع عن النفس أنهم إرهابيين رغم إدراكنا جميعا أن نتائج الإرهاب مدمرة لقدرات الشعوب علي اختلاف أنواعها و في شتي المجالات وأنها تعوق تنفيذ مخططات التنمية الشاملة.. **اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً.....الخ.**[1]

ولعلاج هذه المشكلة علينا الوعي بكل هذه المساوئ وإدراك أنه لن يحدث لنا أي نهضة في أي مجال في مناخ غير صحي يتسم بالخوف من المستقبل والتقوقع داخل النقطة التي أجبرنا عليها أصحاب الإدعاءات الكاذبة عن الإسلام والمسلمين بهدف تجميدنا ومنعنا من الانطلاق نحو آفاق أرحب وأوسع من خلال وضع خطة قومية شاملة تجمع العالم الإسلامي ككل وبالأخص الوطن العربي بوصفه القلب المُحرك لهذه الأمة والبدء بمواجهة الإرهاب ومحاربته والقضاء عليه في معقله وعدم الانخداع بما يطلقه البعض من شعارات تربطنا بالإرهاب لأن الأديان جميعاً وعلي رأسها الإسلام ترفض العنف والقتل والتخريب وتدعو إلى المحبة والأُخوة والسلام وأن نتكاتف جميعاً أفراد وشعوب شباب وشيوخ رجال ونساء نحو إيجاد صحوة تدفعنا نحو الأمام فالهدف الرئيسي إلغاء النظرة الخاطئة التي ستؤدي إلى تحقيق ما يريده منا أعداء الإسلام والمسلمين بل أعداء الأديان السماوية جميعاً من إرهاب يسود العالم وينطلق كوحش يأكل الأخضر واليابس إنها معركة الجميع فيها خاسرون والفائز الوحيد هو الشر بلا منازع.

التحدي الثاني: الجمود الفكري وضعف الوعي

توجد اتجاهات عديدة تفسر الإسلام على هواها وتريد أن تشده نحو تفسيرات خاطئة تجعل منه إما ديناً جامداً منغلقاً متقوقعاً لا يقوى على مسايرة

العصر الحديث ولا يراعي متغيرات الحياة والتطور العلمي وإما يجعل من الدين الإسلامي دين دموي عدواني، ويسمي القرآن كلا المجموعتين بأهم المفُسدون في الأرض، وأن الله يعاقبهم بأشد العقاب في الدنيا والآخرة والفَهم الخاطئ للإسلام يرجع إما إلى الجهل كما في المجموعة الأولى أو خداع الجماهير برفع شعارات دينية زائفة لتحقيق أغراض دنيوية كما هو الحال لدي الفريق الثاني ولعلاج هذه الظاهرة علينا كشف إدعاءات وزيف هذه التفسيرات الباطلة في كلتا الحالتين، وإبراز القيم الأخلاقية الحقيقية للإسلام والتي تحض على الرحمة والتراحم والعدل حتى مع الأعداء.

وعلى أفراد الأمة الإسلامية بصفة خاصة الاتجاه بخطي ثابتة نحو المستقبل والتخلص من تلك الفئات والسعي نحو عرض التفكير المستنير للإسلام وتعاليمه والكشف عن الجوهر الحقيقي له والذي يتماشى مع كل زمان ومكان وذلك بما يتضمنه من القُدرة على التطّور ومواكبة العصر وهذا من أهم مقومات معجزة القرآن.

كما تحتاج الأمة الإسلامية إلى تحول جذري في المفاهيم العقلية لتنسجم القيم الأخلاقية مع تعاليم الإسلام و التخلص من الأوضاع والتصرفات الغريبة والتخلي عن التقاليد البالية والقصور العقلي والفهم السقيم الذي تقوده عقليات متخلفة تتخذ من الدين ستار لعمليات إرهابية إجرامية ترفضها جميع الأديان رفضاً قاطعاً.

وذلك للحاق بركب الحضارة الحديثة المؤسسة على العلم والإيمان والدليل على ذلك أن كثيراً من آيات القرآن الكريم التي تتحدث عن الظواهر الكونية والكائنات المختلفة تنتهي بالدعوة إلى حث القوى الفكرية لدي الإنسان لتقوم بأداء وظيفتها في هذا الصدد ممثلاً ذلك في قائمة الأفعال التي تعبر عن

التفكير والعقل والتفقه والاعتبار والتدبر والتبصر والتذكر والعلم وغير ذلك من أفعال مشابهة ورغم أنه يجب علينا التركيز –فيما يسمي بالصحوة الإسلامية– على أمور العبادات فإنه لابد من وجود الوعي بوصفه أساس العقل والعلم والحضارة.(٢)

لأن الصحوة الإسلامية تظل مجرد كلمة خالية من المضمون ما دامت لم تصل إلى مرحلة عودة الوعي بالإسلام؛ إن عودة الوعي هي الحالة التي يمكن أن تكون المنطلق الحقيقي للفهم الشامل للإسلام بوصفه دين العزة والكرامة والتقدم والحضارة والعلم والمدنية، والسعي في الدنيا والتماس الآخرة أي التوازن بين الجسم والروح والاعتدال والسماحة والدعوة إلى السمو المادي والمعنوي وهذا لا يتحقق إلا من خلال السلوك المسئول على جميع المستويات الفردية والاجتماعية والدينية فالسلوك المسئول دائماً هو السلوك الحضاري والتعاليم التي تنتج هذا السلوك تحتاج من الأفراد أن يكونوا فاعلين مؤثرين، كي يمكن للحضارة الإسلامية استعادة مكانها الريادي في التقدم الحضاري الذي يعود على الإنسانية بالخير وهذا يتضح في قوله:﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾[المطففين آية ١٤٨]

التحدي الثالث: الترويج لنظرية صراع الحضارات

انتشرت في الغرب نظرية تعتمد على مقولة صراع الحضارات وأن هذا الصراع حتمي، والهدف النهائي هو سيادة حضارة واحدة فقط هي الحضارة الغربية في مقابل الدعوة إلى ضرورة القضاء على "**الإرهاب**" الذي أرجعوه إلى الحضارة الإسلامية وهذا الرأي فيه مغالطة وخلط بين الدين الإسلامي والظروف المحيطة بالأمة الإسلامية من حروب وصراعات وهذا الأمر يمثل مرحلة عارضة في تاريخ الأمة الإسلامية وليس حُكماً أبدياً بالجمود والتطرف والتحجر ولذلك لابد من الاهتمام بتطوير قدرات شعوب العالم الإسلامي في كافة جوانبه وأن يكون

لهم دور في رسم سياسة العالم عن طريق تمثيل العالم الإسلامي بمقعد دائم في مجلس الأمن خاصة وأنهم يؤلفون ١/٥ سكان العالم وبالتالي من حقهم أن يكـــون لهـــم صوت مسموع.

كما أنه إذا كان البعض قد تبني نظرية الصراع بـــين الحـــضارات فإنـــه كذلك يوجد صراع بين البشر في الحضارة الواحـــدة وأن تعدديـــة الحـــضارات واختلافها ليس مبرر لوجود الصراع والشقاق، كما أنه ليس عائق أمام توحيـــد جهود الناس وتآلفهم فيما بينهم، بل على العكس من ذلك من الممكن أن تفـــتح التعددية الطريق أمام التعارف والتعاون بين الشعوب وهنا يكمن **مفهوم الإنسانية** الذى يتضح في قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـــاكُم مِّـــن ذَكَـــرٍ وَأُنثَـــى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾**[الحجرات: آية ١٣]

وهذا يؤكد أن الزعم السابق المعتمد على مقولـــة صـــراع الحـــضارات مرفوض من أساسه من الإسلام لأنه قرر أن الناس جميعاً خُلقوا من نفس واحـــدة وأن العدوان على هذه النفس يعد عدواناً على البشرية كلها وليس على طائفـــة بعينها أو حضارة معينة وبالتالي يكون التصور الإسلامي أوسع دائرة وأرحب أفقاً وأعمق في إنسانيته من كل التصورات الأخرى التي تسعي إلى إعلاء شأن حضارة ما على غيرها من الحضارات ويقضي على القول **بإسلاموفوبيا** لأنه قـــول غـــير صحيح ويعتمد على اختلاف الآراء خاصة في خضم التدفق الإعلامـــي الغـــربي والذي ساعد على شيوع هذا التصور.

ونحن كشعوب إسلامية علينا العمل على القيام بـــالتنوير للـــرأي العـــام الغربي، وإظهار ما يوجد على الساحة الإعلامية من إشاعات مغرضـــة وحقـــائق مغلوطة، والبعد عن الجدل العقيم مع الحفاظ على الهوية الإسلامية النابعة من ثقل الأمة الإسلامية ووزنها الحضاري والتاريخي.

وأن نمد يد العون ونتعاون مع كل من يمد يده إلينا بالسلام خاصة مع بداية تولي أوباما الرئاسة الأمريكية وبدأ يفسح مكاناً لفلسفت نحو التعاون بين الشعوب والحضارات وليس الصراع فيما بينها.

والسؤال الذي نطرحه الآن هل سيتحقق الحلم الأمريكي في إيجاد سلام دائم بين الشعوب؟ وحدوث التكامل فيما بينها؟ أم أنه مجرد مصطلح جديد لن يتم تفعيله؟ هذا ما سوف تكشف عنه الأيام القادمة.

التحدي الرابع : الغزو الثقافي

من أخطر ما يواجه العالم الإسلامي الغزو الثقافي الذي لابد من مواجهته بأن يكون هناك تخطيط ودراسات لتعريف الآخرين بالإسلام وتصحيح الآراء المغلوطة عنه وأن يكون ذلك من خلال الحوار الذي يرتكز على الموضوعية والعلم الصحيح والإعلام المستنير وبعيداً عن التشنج والأحكام المسبقة.

وعلينا نحن كمسلمين أن نبحث عن منظومة قيم مشتركة في ظل ما ينادي به العالم اليوم من اتجاه نحو العولمة الثقافية والفكرية وأن نعرض على العالم ما عند المسلمين من ثقافة وحضارة حتى يحدث التفاعل والتقارب بيننا وبين الشعوب الأخرى وتحقيق اللقاء و الاتصالات الإنسانية بهدف أن تتجه البشرية نحو الخير والبناء؛ لأن المبادئ والقيم الإسلامية لا تتعارض مع المبادئ والقيم التي جاء بها الرُسل جميعاً بل تتفق معها.

ومن هذا المنظور يجب أن نعرض الإسلام على أنه دين الأخلاق والمبادئ والقيم وأن نثبت ذلك عن طريق العمل والاجتهاد، فالمسلم الذي يتمتع بأخلاق حميدة هو رسالة إسلامية وقدوة وهذا ما نحتاج إليه لمواجهة الغزو الثقافي كذلك لابد من تقوية الهوية والذات، لأن هذا الغزو يعمل على غزو الفكر والمفاهيم

والعقل، والإنسان إذا انهزم داخلياً أصبح مسلوب الإرادة عديم الفائدة وهذا الغزو الثقافي يهدف في المقام الأول إلى محو الشخصية العربية المسلمة بحيث يصبح الإنسان المسلم تابع لا كيان له سواء في ذلك الكيان الوطني القومي أو الديني.

ومن أشكال هذا الغزو السينما والإذاعة والأقمار الصناعية والإنترنت واستقطاب اتجاهات وميول العمالة الخارجية وتغيير الثقافات وتحويل الجانب الفكري والتربوي والإعلامي نحو ما يهتمون به.(٣)

ولذلك يعتبر الغزو الإعلامي من المؤثرات الواضحة على المواطن مما يدفعه بالتالي إلى الميل نحو الكثير من القيم والاتجاهات التي تكون بطبيعة الحال بعيدة عن واقع طبيعة الإنسان العربي والمسلم وثقافته وشخصيته.

ومثل هذا الأسلوب نجده بصورة أكبر بالنسبة للسينما والإذاعة لأنها مؤثرة بصورة كبيرة في التنشئة الاجتماعية خاصة للشباب والنشئ وذلك من خلال كل ما يقدم من قصص وحوار يؤدي إلى حدوث التغيير وتحويل الاتجاه، حيث تنقل مواقف كثيرة غير متوافقة مع طبيعة قيمنا وعقيدتنا مثال ذلك الربط بين قيمة الحب والعلاقة الجسدية، كذلك أفلام الإثارة والرعب والانحراف السلوكي حيث تكون قدوة للشباب في الملابس الغريبة والسلوك السيئ والتصرفات غير المسئولة واللغة المبتذلة التي تدفعهم إلى الخروج عن المعتقدات والعادات والتقاليد والأعراف الاجتماعية.

وبالمثل بالنسبة للإذاعة من خلال البرامج الموّجهة مع الاستمرار في البث الإذاعي مما يحدث نوع من التحول والتغيير في الثقافة والأفكار.

أما بالنسبة للأقمار الصناعية فإنها تعد بحق الخطر الداهم على المشاهدين من خلال الشبكات الإعلامية والقنوات الفضائية الوافدة خاصة أنها تمتلك

الإمكانيات المادية ووسائل الإبهار والجَذب وبما يمكنها من التغلغل في نفوس أكبر عدد من المشاهدين الذين يعدون عُرضة للتأثر بهذه القيم والأفكار التي تشكل تهديد كاسح للهوية والثقافة العربية والإسلامية، وإحداث خلل في الثوابت مما يؤدي إلى تدمير مقومات الشخصية.

وفي المقابل أصبح الإعلام العربي والإسلامي في منافسة غير متكافئة مما جعل تأثير هذه القنوات واضحاً في تعديل عادات و إيجاد سلوكيات لم تكن موجودة من قبل.

كذلك الإنترنت حيث لا يخفى علينا مدى أهمية وسائل الاتصال في ربط الأفراد والدول بعضهم البعض، من كافة النواحي اجتماعية وسياسية واقتصادية لأنها حلقة الوصل بين أطراف عديدة سواء كانت متباعدة أو متقاربة، ووسيلة تلغي المسافات وبالتالي تزداد أهمية وسائل الاتصال بزيادة تقدم وتطور المجتمعات ويظهر بوضوح أهميتها في كافة الأمور خاصة في الآونة الأخيرة لزيادة التطور العلمي وسرعة تدفق المعلومات في شتى فروع البحث والمعرفة.

والاستخدام الجيد للإنترنت يؤدي إلى إثراء ثقافة المستخدم له من خلال استقبال المعلومات وتحديثها وتبادل الخبرات مع الآخرين كما يمكن بالمثل الاستفادة على مستوي المنظمات والهيئات الحكومية والغير حكومية من خلال نشر ثقافتها وتراثها عن طريق الشبكة العنكبوتية كذلك يؤثر الإنترنت على الجانب الاجتماعي للفرد من خلال تقديمه لخدمات التواصل مع الآخرين في جميع أنحاء العالم وعلى الرغم من هذه الإيجابيات إلا أننا نجد في المقابل الاستخدام السيئ له مثل الترويج للإباحية والكليبات الغنائية والأفلام الخارجة وغير ذلك مما يدعو إلى الإنحلال والرذيلة.

التحدي الخامس: العولمة وتغيير الأفكار والمفاهيم

بعد الثورة التكنولوجية أصبح العالم قرية كونية صغيرة تتضمن فكر جديد وقيم جديدة والسؤال الذي نطرحه الآن كيف يمكننا مواجهة الغزو الثقافي؟ وهل ستختفي الثقافة الإسلامية؟

يمكننا القول بأن حقائق الإسلام وطبيعته ووقائع التاريخ تؤكد أن الحضارة الإسلامية لا يمكن أن تذوب في أي حضارة أخرى لأن للإسلام ذاتيته المستقلة وكيانه الخاص وهو أنه لا يتناقض مع أي كيانات أخرى بل على العكس من ذلك يمكن القول أن الدين الإسلامي بطبيعته يمكنه إحتواء الأديان الأخرى لأن التعددية الدينية والحضارية كَفلهَا الإسلام منذ ظهور الدولة الإسلامية ورسخت في الدستور الذي أعلنه سيدنا محمد ﷺ وأكد عليه في أهمية التعاون بين الشعوب لتحقيق خير الإنسان وتقدمه وازدهاره بمعني أن الإسلام يقر التعددية الدينية وفي نفس الوقت يقر بأن هناك قواسم مشتركة بين كل الحضارات وهي تعد المدخل الحقيقي للتعاون بين الحضارات وليس الصراع فيما بينها.(٤)

وأن العولمة تهدف في المقام الأول إلي التأثير علي الآخر فإنها تعد نوع من السيطرة والهيمنة أو الاستعمار في أي شكل من الأشكال ولهذا فهي قديمة قِدم البشرية وعلينا أن نستوعب أن العولمة الجديدة تعتمد علي آليتين لم تتوفرا للعولمة في المراحل التاريخية السابقة أولهما السيطرة الاقتصادية المتمثلة في التفوق الاقتصادي الساحق للدول الكبرى الممثلة في صندوق النقد العالمي والبنك الدولي ومنظمة التجارة العالمية ومن خلال هذه الأنظمة يمكن السيطرة علي النظام العالمي كُله والذي يكون ممثلا في هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن ويلاحظ أن السيطرة الاقتصادية هي سيطرة بعيدة المدي بحكم التراكمات الرأسمالية والثورة العلمية والتكنولوجية التي ستزيد الفجوة بين الأقوى والأضعف علي المدى الطويل.

أما الثاني فهو ثورة الاتصالات والمعلومات التي ستكون السبب في تعميق الفجوة بين من يعلم ومن لا يعلم هذه الآليات ومن لا يملك الموارد للاستحواذ علي أدواتها،وهذا سيكون بمثابة نكسة للغالبية المهمشة المحرومة التي فُرض عليها نظام الإقطاعية العالمية في مجال المعرفة والمعلومات وهذا سيؤثر بصورة كبيرة علي الأنماط الثقافية المختلفة.

فضلاً عن ذلك نجد السيطرة السياسية والعسكرية مما يؤدي إلي تركيز السلطة وسيادة الهيمنة بالإضافة إلى التيار السائد بالانجذاب نحو التغريب والانقياد للاتجاه المادي والاستسلام للتيار الوافد والمُحمَّل بالثقافة المادية وأفلام الجنس والعنف مما يكون له أثر كبير علي الشباب الذي أفتقد القدوة والبديل القومي الذي له المصداقية .

وهذا يتطلب العديد من الإجراءات والمقترحات لمواجهة هذا الأمر **وذلك فيما يلي:**

١) العمل علي وضع بعض القيود عند استخدام الانترنت وخاصة فيما يتعلق بالبرامج المنافية للمبادئ والقيم والأعراف .

٢) العمل علي وضع إجراءات مشددة لمنع المواد الإعلامية والثقافية والفنية الخارجة علي العادات والتقاليد سواء كانت مسموعة أم مرئية في الإذاعة والتليفزيون والسينما وكذلك الأقمار الصناعية .

٣) العمل علي توظيف المناهج الدراسية بحيث تواكب المتغيرات المختلفة مع الأخذ في الاعتبار التطورات والتغيرات المتسارعة لنظم المعلومات المتوافقة في الوقت ذاته مع عقيدتنا وتراثنا.

٤) تفعيل دور المناهج التعليمية والبحثية والبرامج الإعلامية والصحفية وغير ذلك لما لها أكبر الأثر في وضع البنية الأساسية لمواجهة الغزو الثقافي من خلال تكوين الشخصية العربية الإسلامية السوية.

٥) العمل علي ترجمة المعتقدات الإسلامية والحضارية إلي سلوكيات وذلك من خلال وجود القدوة والمَثَل الأعلى خاصة للشباب والنشئ.

٦) تفعيل دور المساجد والكنائس ورجال الدين والإعلاميين والمفكرين والمثقفين والتربويين ليتلاءم مع التغير الجديد في العالم مما يؤدى تنشئة الأجيال تنشئة صحيحة مع إمدادهم بالثقافة والخبرات المفيدة والمتوافقة مع روح العصر.

التحدي السادس: سرعة التطورات العلمية

يُعد العلم بصفة خاصة سلاح العصر الحديث فمن يملك العلم يملك القوة ومن يملك القوة يستطيع فرض نفسه في العالم اليوم، أما الدول التي لا تملك العلم فإنها تقنع بأن تكون تابعة ومستهلكة لمنتجات الآخرين.

ولنا أن نتساءل أين موضع الإسلام والمسلمين من ذلك؟ وهل هناك أمل في أن يحتل المسلمون مكانا لائقاً في الخريطة العلمية والمؤثرة للقرن الحالي؟

مما لاشك فيه أن الإسلام حث الإنسان علي استخدام كل قدراته العقلية بغير قيود؛ فالإسلام لا يحجر علي الفكر،بل علي العكس من ذلك يحثه علي أن يقتحم كل مجاهل الكون إلا أنه يحوط هذه الحرية بسياج من الإيمان بالله وقدرته العليا.

والدليل على ذلك النصوص القرآنية التي تحث علي العلم وترفع من شأن العلماء، وتدعوا إلي النظر والتفكير في ملكوت السماوات والأرض وفي الإنسان والحيوان والنبات والشمس والقمر والرياح هذه الآيات نحن نتلوها كما كان يتلوها أسلافنا ولكن الفرق بيننا وبينهم أنهم انطلقوا من خلالها إلي العلم والعمل وأسسوا حضارة ملأت أرجاء الكون.(٥)

ومن هذه الآيات قوله تعالي:﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا﴾{ق/٦} وقوله: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾{يونس/١٠١} وقوله تعالي:﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ﴾{الذاريات/٢١}

ومما لا شك فيه أن التوجهات الفكرية والدينية في أي أمة لها تأثيراتها البالغة الأهمية في المواقف الحاسمة التي تحتاج أن تتخذها الأمم، والتي تحدد مصيرها ومكانتها بين الشعوب ومكانها علي خريطة العالم .

ويلاحظ أن الدين الإسلامي ينفرد بين الأديان الأخرى بأنه جعل العلم فريضة من فرائض الإسلام لأن العلم هو السبيل إلى إعمار الكون، وهذا يعد من الأوامر الإلهية التي ينبغي تنفيذها على المستويين المادي والمعنوي، ومجال العلم في الإسلام غير محدد لأنه يشمل السماء والأرض وما بينهما، فلا توجد قيود تقف في طريق التقدم العلمي ما دام ذلك في مصلحة وخير الإنسانية، وهذه المصلحة تم تأسيسها على القيم الأخلاقية التي تحميها من سوء الاستغلال.

والسؤال الذي نطرحه الآن إذا كان العلم فرض من فرائض الإسلام وأمر من الأوامر الإلهية فلماذا لم نحقق التطور العلمي المطلوب، خاصة وأنه لا ينقص المسلمين الإمكانيات المادية أو البشرية؟ كما أننا لسنا أقل ذكاء من غيرنا؟

إن المشكلة الحقيقية تكمن في أن المسلمين لا يشاركون في البحث العلمي مشاركة جادة تمكنهم من العبور نحو المستقبل في ثبات وثقة، كما أن همم وأفهام المسلمين قاصرة عن إدراك طبيعة وجوهر التعاليم الإسلامية وغير مدركة لما تشمل عليه من مرونة، لأن هذه الأفهام هي التي تجمد الإسلام وتريد أن تشده إلى الماضي بدون أن تساعده على التنمية والتطور وبالتالي تدفعه إلى التخلف الفكري والتحجر العقلي والجمود الديني وهذا يعد من أخطر الأمور على الإسلام من أي تحديات خارجية لأنه يجب على المسلمين أن يدركوا أنهم إذا أرادوا لأنفسهم الحياة فإنه ليس أمامهم خيار آخر غير خيار العلم لتحقيق التقدم والحضارة، وأي طريق آخر سوف يجذبهم نحو التخلف والجمود وسينتهي بهم إلى أن تتجاوزهم الأحداث وينساهم التاريخ وبالتالي تكون القضية قضية مصير إما أن يكونوا أو لا يكونوا خاصة وأن رصيد المسلمين الحضاري وتاريخهم المجيد في المجال العلمي سيحفزهم ليستعيدوا أمجاد أجدادهم ويكونوا جديرين بالانتساب إليهم.

وهذا يرجع إلى أن الإسلام بمبادئه السامية وتعاليمه الواضحة وقوته الذاتية قادر على تلبية متطلبات الحياة المعاصرة ومواجهة التحديات المستقبلية وبما يحقق التقدم في العالم الإسلامي على جميع المستويات والتعاون المستمر مع كل القوي المُحبة للإسلام والتقدم في العالم لتحقيق خير الإنسان وسعادته في كل زمان ومكان.

فنحن محتاجين إلى أسلوب متطور ومنهج واضح وحوار مستنير يستند إلى وعي بالثقافات المختلفة وسيادة روح التسامح والبعُد عن أي محاولات للتشكيك في مبادئ أي دين سماوي.

لأن من أصول الدين الإسلامي الإيمان بالله ورُسله ونحن في أمس الحاجة لإرساء مبادئ الحوار الواعي واحترام الأديان وعدم ازدرائها سعياً وراء أمة أكثر

استقراراً بعيداً عن تشتيت الذهن في قضايا فرعية تُفرق ولا تُجمع وتُولد مشاعر لا تخدم وحدة الوطن وهذا يغذي التطرف والانحراف والعبث بمفاهيم الأديان وتدعيم أفكار واتجاهات بعيدة كل البُعد عن الأديان السماوية لأن هذا يطعن الأديان في الصميم.

التحدي السابع شمولية المعرفة

في زمن العولمة والغزو الثقافي لم تعد مسئولية أبناء الأمة الإسلامية بصفة عامة والمثقفين والمفكرين والتربويين بصفة خاصة مقصورة على الاهتمام بجانب دون آخر، ولم يعد من الممكن استمرار النظرة الإقليمية الضيقة لأنها ليست قادرة على تحقيق التواصل مع الشعوب الأخرى والثقافات المتعددة.

لأن التطور المعلوماتي المُذهل وسرعة نقل المعلومات وتداولها بالإضافة إلى إعداد العديد من الدراسات والبحوث في مجالات متطورة حديثة لم نكن نتخيل البحث فيها مثل الإستنساخ وما ترتب عليه من قضايا وآراء متنوعة وجدل في شتى الأمور وهذا تسبب في وجود سلاح ذو حدين إحداهما شيوع الثقافات بين المجتمعات المختلفة وبما ترتب عليه تقريب المسافات بين الآراء المختلفة وعلينا الاستفادة من هذه الفرصة التي لم تكن مُتاحة من قبل وهي ما يحتويه القرآن الكريم من قضايا قدم فيها حلول كانت سابقة لكل زمان ومكان لأن الغزو الثقافي والمعرفي رغم أنه قد يؤدي إلى الانهيار في بعض الجوانب الثقافية والفكرية إلا أنه يجب على أبناء الأمة ومثقفيها إدراك أهمية شمولية المعرفة الإنسانية واتساع الفكر الذي يستوعب إنجازات العلم من ناحية والقدرة على التبادل الثقافي والمعرفي من ناحية أخرى وذلك دون تعصب أو تعالي أو إحساس بالدونية لأن كل ذلك أصبح من الاعتبارات الماضية التي عفا عليها الزمان وأننا في مقابل

اضمحلال بعض الآراء والاتجاهات والثقافات لدي الشعوب سنجد الشمولية في الاتجاه والتفكير وبما يحقق التكامل بين هذه الشعوب.(٦)

فلابد من احترام ثقافة الآخرين وما تنطوي عليه من قيم ومبادئ والبُعد عن الانعزال الفكري والثقافي والاهتمام ببحث ما تحمله هذه الثقافات من قيم إيجابية أثبتت قدرتها على البقاء والنمو وأخذ ما يتوافق مع قيمنا ومُثلنا العليا بموضوعية وأمانة علمية وهذا يُعد ضمن المبادئ التي دعانا إليها الدين الإسلامي حيث قال محمد ﷺ "خذوا العلم ولو في الصين" كما يقول ﷺ "من عَلمِ لُغة قوم أمن مكرهم" وهذا المنهج الإسلامي البعيد عن التعصب لو نظرنا إلى ما يحتويه من قيم خُلقية ومُثل عُليا قدم لنا النموذج الصحيح في السمو الخُلقي والأخذ عن الغير بل التأكيد على التبادل الثقافي والمعرفي بين الأمم والشعوب و احترام الأديان في سماحة وسعة صدر، والواجب على الجميع مثقفين ومفكرين وعلماء تصحيح معلومات وآراء الشباب والنشئ وتزويد عقولهم بالتفسيرات الموضوعية للقرآن الكريم والبُعد عن التفسيرات العقيمة والبالية التي تؤدي إلى الاضطراب الفكري والتشويش الثقافي.

لأننا حالياً نمر بمرحلة تعد من أخطر مراحل الفكر الإنساني وإذا كان الدين الإسلامي قد أعلن احترام الديانات الأخرى فإن الواجب علينا البُعد عن التعصب والبحث عن الحقيقة في أي إتجاه كان وذلك للإستفادة مما تحتويه تلك العلوم من فائدة وإيجابية تبعدنا عن الوقوع في خطأ التعصب الأعمى الذي يدفعنا إلى الإنهيار والوقوع في براثن الجهل سواء كان ذلك عن قصد أو غير قصد كما أنه من الضروري تعريف العالم المحيط بنا بالدين الصحيح والحياة العربية والحضارة الإسلامية على مر العصور حتى يعرف العالم خطأ زعم من يقومون بحملات تشويه للإسلام والمسلمين و بيان أن الدين الإسلامي هو دين علم أعتمد على الحوار الصحيح والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ بحيث

يفهم الجميع ما يحتويه الدين الإسلامي من آراء موضوعية جديرة بالمناقشة والتحليل لأن الفهم العميق للإسلام وبالتالي الثقافة الإسلامية إذا أُحسن عرضها يمكن أن تكون النبع الحقيقي والصحيح الذي يستقي منه الفرد قيمه الروحية والعقلية وتحويل قواه وقدراته الخلّاقة إلى قيم الحق والخير والجمال وتحويل تلك القيم إلى ثراء ينهض بالأمة في شتى المجالات سواء منها الروحية أو المادية.

التحدي الثامن: فقدان الذاتية وضعف الوعي بين الشباب

من أخطر التحديات التي يواجهها المجتمع الإسلامي أيضاً التبعية وفقدان الذاتية، لأن فقدان الذاتية أدى إلى التقليد الأعمى لمجتمعات تختلف عنا في عاداتها وتقاليدها، وهذا الانبهار بالثقافات الأخرى يقودنا نحو فقدان هويتنا واهتزاز المبادئ والقيم واختلال المعايير الخُلقية والانزلاق نحو التفكك الأسري والخلل الاجتماعي و الإحساس بالتناقض بين ما نشأنا عليه من عادات وتقاليد وما هو وافد إلينا، مما تسبب في الشعور بالدونية والتضاؤل وأنقلبت الأوضاع فأصبح الشباب يميلون نحو التغريب وابتعادهم عن الأصالة بحجة الحداثة والتطوير.(٧)

وجوهر هذه القضية هو (**ضعف الوعي**) فنحن بدون الوعي والإدراك الحقيقي لهويتنا وذاتيتنا سوف نصبح ضائعين مما يقودنا نحو التبعية للآخرين دون تمييز، ولنعرف جيداً قيمة الحديث النبوي الشّريف من **تشبه بقوم فهو منهم** ونلاحظ جيداً ما في هذا الحديث من تحذير من مغبة التبعية، وأنه يجب علينا التمسك بالقيم الخُلقية في شتى أمور حياتنا وجميع سلوكياتنا وعدم الإستماع إلى القائلين بأن التمسك بالقيم هو تخلف وجمود، وعدم إلتماس الأخلاق المستمدة من الحضارة الغربية لأنها تُبعدنا عن أصولنا وجذورنا، وذلك بسبب أنها حضارة نابعة من أساس مادي بما في ذلك الأخلاق، الأمر الذي فتح الباب أمام الشباب وأصبح لديهم مبرر في حرية التصرف والانقياد في تيار الشهوات، والإقرار بأن

الإنسان ما هو إلا ابن غرائزه وهذا ما نجده بوضوح في الفلسفة البرجماتيـة الـتي تدعو الإنسان إلى تطويع سلوكياته وفق المنفعة والمصلحة فالجميع يقـوم بالنقـد الذاتي، ولكننا لا نقترب من الأسباب التي أدت إلى حدوث المشكلات والأزمات التي تحيط بنا وهذا يؤدي بالجميع إلى السلبية المطلقة وانعدام مفهوم الانتماء للوطن فلا وجود لقيمة **مَثْل أعلى** يلتف حوله الجميع.

الكل يكذب حتى أصبح الإنسان قيمة مستهلكة له عمر افتراضي وحالياً الاتجاه نحو مصلحة الفرد وضياع قيمة الإنسان كرمز مما تـسبب في أن ينخـرط الشعب في طابور موجَّه (تم توجيهه) لا يأخذ إلا ما يُقدم إليه، وهذا يؤدي بالتالي إلى انتشار البطالة والانحراف والأمية والاستهلاك المظهري لأن المشكلة في مجتمعنا ليست افتعال قضايا سياسية واجتماعية وإلقاء المسئولية على المرحلة التاريخية التي نمر بها ولكن المشكلة تتركز في الاستمرار فيما نحن فيـه والعـيش بـلا مبـالاة وتسطيح الفكر وتوجيهه نحو الاستهلاك حتى أصبحنا نعجز عن مواجهة أبـسط مشكلاتنا ولذلك لا يجب علينا أن نصل إلى مرحلة لا يمكننا النهوض بعدها لأنـه في مرحلة الصفر تتساوى كل القيم فلا توجد حرية لرجل يطحنـه الغـلاء، لأن الثراء المادي لدي بعض الأفراد في مجتمع ما لا يمكن أن نقيس به ثقافة أو حضارة وفي ظل الهيمنة والسيطرة توجد علاقات اجتماعية غير سليمة تـشكل فاعليـة المجتمع.

الدليل على ذلك أن الانبهار بالمجتمع الأمريكي على وجه الخصوص أدي بنا إلى الميل نحو زيادة الإقبال على استهلاك المنتجات الاستهلاكية الذي يدل على عدم وجود وعي، والميل نحو الاستسهال (السهولة) في الحصول على الماديات دون مراعاة الجانب الخُلقي.

التحدي التاسع: الخطأ في فهم المصطلحات وأثره في الضعف الخُلقي

أن الخطأ في فهم المصطلحات قد يؤدي إلى سوء الفهم بين البشر بصفة عامة وفي مجال القيم الخُلقية بصفة خاصة وهذا الأمر يترتب عليه وجود العديد من الأقوال الكاذبة، والواقع أن المنطق الذي تتضمنه لغة الأخلاق لا يقتصر على شمولية أو تحديد مبادئنا الخُلقية، فهذا المنطق يسمح لتلك المبادئ بأن تصبح شاملة جداً أو بسيطة أو محددة جداً أو معقدة تبعاً لمزاج الشخص الذي يؤمن بها، ويمكن التأكد من ذلك إذا نحن تناولنا الحالات المتطرفة.

مثال ذلك: أن الشخص يكون قد تعلم في حياته المبكرة قليلاً من النواهي الخُلقية القصيرة واستمسك بها بينما هو ينظر إلى كل شئ مما لا يقع في نطاق تلك النواهي بأنه جائز وفي المقابل نجد شخص آخر يتمسك بسلسلة من المبادئ الخُلقية المعقدة سواء أستطاع أن يحيل تلك المبادئ إلى قواعد خُلقية أم لا وسيظل يضيف إليها من التعديلات طوال حياته.

كما نجد اختلاف كبير بين الناس فيما يتعلق باستعدادهم لتعديل مبادئهم الخُلقية في ضوء المواقف الجديدة فقد يكون الشخص ضيق الأفق جداً، فيكون تصرفه وفق اعتقاده الشخصي وهو أنه مادام قد تعرف على أهم الملامح العامة لموقف ما فإنه يتصرف وفق معرفته دون أن يري أن عليه إصدار حُكم مختلف إذا أختلف الموقف كما أن هناك شخص حَذِر جداً لدرجة المرض فإنه لا ينتهي إلى رأي عما ينبغي عليه عمله حتى في المواقف المتشابهة رغم أنه ربما يوجد تطابق بين الموقفين إلا أنه لا ينتهي إلى رأي مُحدد كما أن هناك شخص يخضع للتعصب فيتناول الموقف بعدائية وكراهية لمن يكون في الموقف المشابه (كراهية الإنجليز – اليهود ....إلخ) وعلى العكس من ذلك نجد شخص لديه عقل متفتح يعمل

تفكيره الخُلقي دون الاستناد إلى أحكام سابقة أو تأمل ودراسة ما يقابليه من مواقف خُلقية يقوم عندها بفحص خبراته السابقة التي يتصرف على هَديها.

ولعلاج المشكلات التي تنجم عن اختلاف الشخصيات والخطأ في فهم المصطلحات نقوم بعمل ما يلي:

- علينا إصدار حكم عادل بصدد العلاقات المختلفة وفق الحالة التي نتعرض لها هل هي من قُبيل المبادئ الخلقية التي يجب أن تتضمن بند يسمح بالاستثناء في بعض الحالات مثل العلاقات الزوجية بشرط ألا تتعارض مع الحكم الشرعي.

- كذلك الوقوف بوضوح على المعني الذي نستخدم فيه الكلمات فعلينا أن نفحص ما لدينا من مبادئ خُلقية لأنه من الخطأ إتباع الرأي القائل بأن **المبادئ الخُلقية موسومة على نحو معين أمام الإنسان** ولذا يجب علينا إتباعه حتى لو أصبحت تلك التفسيرات غير مقبولة ذهنياً وخارج نطاق السلوك البشري، ولا يتخذها الإنسان لنفسه كهادٍ له في تصرفاته **وهذا أوجد الإسلام مبدأ القياس.**

- أن المبدأ الخُلقي يجب ألا يكون شاملاً جداً أو بسيطاً جداً أو حتى مُصاغاً في كلمات على الرغم من أنه يجب أن يكون عاماً لأنه يشمل كل البشر.

- يجب علينا التأكيد أننا إذا تقبلنا المبدأ الخُلقي فعلينا عندئذ استخدامه في توجيه أحكامنا الخُلقية الخاصة وبالتالي توجيه السلوك الوجهة الصحيحة أي أن المبادئ الخُلقية ينبغي أن تكون مبادئ خُلقية حقاً وليس مجرد قرارات صادرة في موقف معين.

- أن الشخص العاقل هو الذي نلجأ إليه بلا تردد لأخذ نصيحته عندما تواجهنا صعوبة خُلقية وهذا الرأي يكون مستمد من شخص قد مر بنفس الخبرات المتعلقة بالصعوبات المماثلة التي تواجهنا بشرط ألا يكون هذا الرأي مجرد وسيلة لإشباع الحاجات الإنسانية أو يتعلق بالتصرفات الشخصية.

- إذا أراد شخص إتيان سلوك خُلقي في موقف معين فإنه عليه في البداية أن يتساءل عن التصرف الذي ألزم به نفسه ويمكن أن يتبعه غيره إذا واجه موقف مشابه وهل يمكن أن يجهر بهذا السلوك أم سوف يخجل منه لأن النصيحة التي تُقدم بناء على فحص دقيق للتفاصيل المحددة والمتعلقة بحالة ما ويمكن أن نستفيد منها لابد أن تكون عند حدوث حالة مشابهة.(٨)

- يجب التنبه إلى أن نميز بين الاعتقاد بأن أحد الأشخاص مخطئ وبين إتخاذ إتجاه غير متسامح تجاهه لأن الآراء الخُلقية قابلة للتغير في ضوء خبرتنا ومناقشتنا للمسائل الخُلقية مع الآخرين ولكن إذا لم يتفق معنا شخص ما، فإن الذي يجب علينا عمله مناقشة آراءه ولا نقمعها.

- عندما نكون بصدد محاولة تنشئة أطفالنا فإننا سنظل بحاجة إلى المبادرة بما في ذلك المبادئ الخُلقية لكي تساعدنا على أداء السلوكيات الصحيحة فنحن نحاول من خلال التربية إعطاء النشئ طريقة التفكير الخُلقي مما يساعدهم في تحديد ما سوف يقومون به من تصرفات وأن يغيروا من تصرفاقم وفق الموقف الذي يقابلهم وهذا يعد ضمن التربية الذاتية حيث أن الشخص يحاول أن يبني لنفسه مجموعة من المبادئ الخُلقية التي تزداد رسوخاً كلما ازدادت خبراته في الحياة بمعنى أن محاولة تشكيل المبادئ الخُلقية التي يمكن للشخص أن يتبعها وكذلك الآخرين لا تكون محكومة بالزوال بسبب التقدم المعرفي لأنه

على الرغم من زيادة معلوماتنا إلا أنه في الوقت نفسه نحتاج إلى الحرية الـتي تنتج فكراً خلقياً.

- يمكن القول بأن الضعف الخُلقي هو الحالة التي لا يستطيع الإنسان أن يعمل ما يعتقد أنه من الواجب عليه أن يعمله، بينما نجد نفس الشخص يقوم بما ينبغي عليه فعله في مواقف أخرى.

- ويلاحظ أن سقراط قد قام ببحث مشكلة الضعف الخُلقي حيث أوضح أن الشخص يستطيع أن يفرق بين أحكام القيمة والرغبات فيما تتصف به أحكام القيمة بقابلية التعميم لأنها أحكام مطلقة نجد الرغبات تكون ذات صفة فردية Singular من أي نوع، ولكن إذا كانت الأحكام الخُلقية غير مطلقة فإن ذلك سيؤدي إلى صعوبة أي الأحكام نقبل ؟ لأن هذا القبول سيؤدي إلى إتيان الفعل في حالة ضعف الإرادة، مما جعل سقراط يرفض القول بضعف الإرادة، ولكن على الإنسان قبل أن يقوم بأي فعل أن يسأل نفسه هل هو مستعد للالتزام بهذا العمل وإنه مستعد لتقبله؟ وأيضاً أن يقوم به مرة أخرى في ظروف مماثلة؟ ولذلك يجب على الإنسان أن يقوم بالفعل وفق مَثْل أعلى ومبدأ يعمل من خلاله وأن يلتزم به في الظروف المماثلة.

- إذا استخدمنا اللغة الخُلقية علينا ملاحظة أنها تتضمن سلسلة من المعاني المميزة فهناك المعنى التهكمي، وهناك المعنى الاصطلاحي.

- كما يلاحظ أنه يوجد عدة أنواع من السلوكيات الخُلقية حيث نجد شخص يرغب في العمل وفق ضميره، بينما شخص آخر دون تحكيم ضميره وضميره في هذه الحالة أقل سيطرة عليه من رغباته وإذا اشتد عليه وخز الضمير فإنه إما يُعدل سلوكه أو يتجه نحو فئة المنافقون الذين يقترفون أعمال لا يرضون عنها ورغم ذلك يقومون بفعلها، أما الفئة الثالثة فهي المجموعة التي تتشكل

أخلاقياتها وفق مبادئ ومُثل عليا ولكنه لا يستطيع أن يَحمل نفسه على الوفاء بها، وتلك الحالة تسمى عند اليونان باسم Akrasia. ومعناها أن الشخص ليس قوي بدرجة كافية تمكنه من التحكم في نفسه.

وفي الإنجليزية تسمي الضعف الخلقي Moral weakness أو ضعف الإرادة ولقد ذهب أفلاطون في جمهوريته إلى أن الذي يجعل الشخص شرير يؤدي به في نفس الوقت بأن يجعله عُرضة لأكبر ضرر يمكن أن يصيبه وهذا الرأي خاطئ للخلط بين موضوعين الموضوع الأول يرتبط بمصالح الآخرين بينما الثاني يرتبط بالمُثل العُليا وبالسمو الإنساني ومن الخطأ قصر لفظ **المسألة الخُلقية** على أمر يتعلق بتعريف الألفاظ في الأمور المتصلة بتأثير تصرفاتنا على مصالح الآخرين وهذا هو الخلط الذي وقع فيه أفلاطون حيث أعتقد أن الملك الفيلسوف إذا ما عمد إلى تحويل الناس إلى أخيار بحسب فكره، فإن هذا يؤثر في تحقيق مصالحهم الحقيقية.

ولهذا علينا مراعاة عدم الخلط بين:

١-استخدام كلمة حسن بدلاً من كلمة يجب للتعبير عن المثل العليا.

٢-يجب التمييز بين الأحكام المتعلقة بالواجب والإلزام، وبين الأحكام المتعلقة بالخيرية والكمال ونحوهما.

٣-يجب التمييز بين الأحكام الخلقية التي يمكن تدعم بالإشارة إلى مصالح الآخرين وبين تلك الأحكام التي لا يمكن أن تدعم بذلك.

التحدي العاشر: ضعف التواصل بين المسلمين

المشكلة الكبرى التي يواجهها العالم الإسلامي اليوم أنه لا توجد بين شتى شعوبه صلات وعلاقات يتم من خلالها التعارف فيما بينهم وتُشعر كل شعب

مسلم أنه عضو في جماعة إنسانية حضارية تمثل ١/٥ تعداد البشر مما جعلنا نحن المسلمين لا نعرف قيمة عالمنا الإسلامي أو أهميته بين الشعوب الأخرى، رغم أننا كبلاد نتميز بالتنوع في شتى المجالات، ومستقبل الأمة الإسلامية مرهون برؤيتنا نحن المسلمين لأنفسنا وللآخرين وأنه يجب علينا مجاراة العصر بكل معطياته ومتطلباته لأن الجمود لن يفيدنا، فالجمود موت، والإسلام والأمة الإسلامية لا يمكن أن تموت ونحن لدينا كل عام مؤتمر يجمعنا أنه موسم الحج وعلى المسلمين أن يفكروا في مستقبل الأمة الإسلامية.

فمن الغريب أن يكون لدينا مشكلة مثل مشكلة فلسطين ولا نستطيع أن نجد لها الحل منذ أن بدأت واستمرت وما زالت تتعقد فليس علينا الوقوف عند المشاكل السياسية العابرة، مثل مشكلة الجوار أو العلاقات بين الدول بل علينا أن نتجاوز عن تلك الأمور وأن ننظر أبعد من ذلك ونبتعد عن التشاحن والجدل، وأن نعود مرة أخرى إلى الجوهر الحقيقي للإسلام وأن نتفاعل فيما بيننا بنفوس صادقة في محاولة الخروج مما يحيط بنا من تحديات وأزمات بُحسن التوجيه والتجرد من المطامع وأن نسعى لوجود كيان حقيقي مستقر؛ لأن ما يحدث في العالم الإسلامي هو من قبيل القصور الذاتي فالناس يمارسون عباداتهم ويترددون على المساجد ويتلون آيات القران الكريم بحكم العادة والتقليد الأعمى دون الاجتهاد في التمعن فيما يقومون به من عبادات فعلينا أن نترجم ما نقوم به إلى سلوكيات صحيحة فليس هناك انفصال بين حياة الإنسان الروحية والمادية فكلاهما يُكمل الآخر وعلى كل إنسان أن يجتهد وأن يحاول أن يحمل لواء الإسلام عن جدارة وأن يُسمى بحق مسلم ولتوضيح ذلك نقول أن **المخطط العام والتوجيه الشامل للحياة الإنسانية في الإسلام ثابت رأصيل** مهما تعددت جوانب هذه الحياة ومهما تنوعت اهتماماتها لأنه مخطط يتسم بالشمول والتكامل إنه دعوة للعمل والحركة والجد والاجتهاد والسعي الدائم نحو التطور والتقدم وعدم الجمود

والانكماش، فالمبدأ الأول في الإسلام يعتمد على الدعوة إلى العمل والحركة، أما المبدأ الثاني فهو وحدة الإنسان حيث تتكامل فيما بينها جوانب ثلاثة رئيسية وهي: **الجانب الفكري** ويقصد به العلم والإدراك **والجانب الثاني هو الوجداني أو** العاطفي والذوقي المتصل بالمشاعر **والجانب الثالث هو الجانب السلوكي أو** الإرادي المرتبط بالأفعال التي يقوم بها الإنسان وفق تركيبته الثقافية والإنسانية وهذا ما أكد عليه القرآن الكريم في الربط الدائم بين العلم والعمل والفكر والسلوك والعقل والقلب في وحدة رائعة لا انفصام فيما بينها حيث تصون الإنسان من التشتت والضياع أو الوقوع في براثن الصراع المدمر للطاقات والملكات والميول والرغبات.(٩)

وهذا أدى إلى وجود رابط وثيق بين العلم والعمل والأخلاق فلابد أن يستند العالم المسلم إلى مبادئ دينهُ الفكرية والروحية لضمان سلامة سلوكياته من الناحية الخُلقية فعلي المسلم أن يتمثل مكارم الأخلاق في شتي جوانب حياته.

التحدي الحادي عشر: مغالطة تفسير مفهوم السلام

يدعونا الإسلام إلى أن نوفر القوة اللازمة لتحقيق الأمن والأمان للأمة الإسلامية كما يأمرنا بأن نوفر لأنفسنا قوة رادعة لكل من تحدثه نفسه بالاعتداء علينا، وذلك بالدفاع وليس بالهجوم بأن تكون قوتنا كأُمة إسلامية أقوي من قوة أي دولة أخرى وذلك يتضح في قوله تعالي **﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾** [الأنفال الآية ٦٠]، وعلينا التمسك بهذه الآية الكريمة والعمل بمقتضاها لنُصرة الدين الإسلامي والأمة الإسلامية لمواجهة الغزو بكافة صوره ولدينا دليل على ذلك ما يحدث في فلسطين والاعتداء الصهيوني على أهل غزة، وما حدث في العراق وما سوف يحدث بعد ذلك لا ندري من عليه الدور ولكننا ننتظر وتقف الشعوب أمام ما يحدث لهم عاجزين عن الدفاع عن

أنفسهم خاصة العُزَّل من النساء والأطفال والشيوخ ويجتمع الرؤساء والملوك وينتهي جمعهم دون الوصول إلى حل أي مشكلة من المشاكل التي يعاني منها أبناء الوطن العربي والمسلمين، وهذا جميعه يرجع إلى الضعف الذي أصابنا في كل ميادين الحياة؛ مما دفع الشباب والشيوخ وكافة طوائف الشعب في كل من تونس ومصر وليبيا وسوريا وغيرهم إلى الثورة وطلب التحرر من الظلم والعدوان داخل وخارج الوطن.

وهذا يعود بنا مرة أخرى إلى القول بضرورة مواجهة التحدي بأن نكون قوة رادعة لكافة أشكال الغزو وأن نكون أقوى في كل المجالات في العلم والصناعة والزراعة و أن نتسلح بالقوة العسكرية، والفكرية والسياسية والاقتصادية مما يجعلنا أمة تسبق كل الأمم في جميع المجالات ليس معنى ذلك العدوان على الآخرين بل على العكس من ذلك التحرر من كافة أشكال القهر والعدوان حيث أوضح الإسلام صراحة عدم البدء بالعدوان قال تعالي: ﴿ **وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ [البقرة/١٩٠]

وبالرغم من أن السلام الحقيقي قد يقتضي أحيانًا خوض القتال من أجل تحقيقه والوصول إلى الحرية لذلك لم يتجاهل الإسلام أن الحرب والدفاع عن الوطن والشهادة في سبيل الحرية قد تكون ضرورة للحفاظ على الحق وهذا يتضح في قوله تعالي ﴿**وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾ [البقرة/٢٥١]" كما وضع الإسلام دستور العلاقة بين الأطراف المتنازعة في الحرب بالدعوة إلى السَلْم بقوله تعالى﴿ **وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا** ﴾ (الأنفال آيه: ٦١) وقد أوصي الرسول ﷺ بآداب الحرب للقادة والجنود "إغزوا باسم الله، وفي سبيل الله ولا تغلوا، ولا تغدروا ولا تمثلوا، ولا تقتيلوا وليداً، ولا شيخًا ولا كبيرًا ولا إمرأة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرًا إلا لمأكله، ولا تهدموا بيتًا

ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مُثمرة... الخ، أين نحن مما حـدث وما زال يحدث في غزه وفي العراق وفي مصر وفي سوريا؟

التحدي الثاني عشر: ضعف الوعي السياسي

بالنسبة لموضوع نظام وأسلوب الحكم السياسي في المجتمع فقـد **وضـع الإسلام الأركان الأساسية لتحقيق الحكم الصحيح وهي: المساواة والعدل** فلا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، وأن يكون الأمر قائم علـي الـشورى أي **الديمقراطية** فلا تعسف ولا استبداد بالرأي وفتح مجال الاجتهاد لأولي الأمر للأخذ بما ينفع الناس وفقاً لمقتضيات تطور العصر من خلال مبدأ القياس يقول تعالي **﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ﴾** وذلك علي أساس حل أي مشكلة مـن خلال قواعد الدين وعلي أن الطاعة لله وللرسول ولأولي الأمر بشرط "لا طاعـة لمخلوق في معصية الخالق" وأن يكون الاحتكام إلي العقل مـوطن الحكمـة مـع الالتزام بالعدل بين الجميع يقول تعالى **﴿كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَـى أَنفُسِكُمْ﴾** {النساء/٥٩}

ولقد أكد فوليتر في كتاب الأخلاق أن لعمر ابن الخطاب الفضل والأثـر الأكبر في تحقيق العدالة والمساواة وإذا كانت جمهورية أفلاطـون تجعـل النـاس طبقات للطبقة **الأولى الحرية**، **وللطبقة الثانية** الطاعة والاستعباد فإنه استمر فرض نظام ثقافي واحد وتبعية مُطلقة لنموذج الثقافة العربية وتراثهـا منـذ الفلاسـفة اليونانيين وعلى رأسهم سقراط و أفلاطون وأرسطو في القرن الرابـع ق.م مـاراً بالعصور الوسطى المسيحية وعصر النهـضة والتنـوير إلى عـصري الـصناعة والتكنولوجيا الحديثة حتى جاء الإسلام الذي أرسى قواعد العدل.

ولأن ارتكاب الذنوب من مظاهر الضعف البشري قد اقتضت رحمـة الله وعنايته أن ينتشل الضعيف من ضعفه لتستمر عمارة الكون قوية وسوية وذلك من

خلال فتح باب رحمته للمذنبين حيث يقول محمد ﷺ **"كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابين"** وإذا تأملنا صيغة المبالغة في كلمة "الخطائين" التي تشير إلى فضل الله حتى على الذين بالغوا في الخطأ وأسرفوا فيه؛ و"التوابين" للإشارة إلى الذين بالغوا في البعد عن الرذيلة أو الشر كما يقول النبي ﷺ للدلالة على الرحمة الإلهية بفتح باب التوبة وهذا دليل على تشجيع الفضيلة والبعد عن الرذيلة أو الشر لأن الله سبحانه خلق في الإنسان جانبين **الخير والشر** والدليل على ذلك قوله تعالى﴿**وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ**﴾ [البلد/١٠].(١٠)

وإذا كان لكل فعل الثواب والعقاب المقابل له حيث يقول الله تعالى ﴿**فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**﴾[الزلزلة/٧،٨] فهذه دعوة الله لعباده للسعي نحو الطريق المستقيم والبعُد عن الإعوجاج والخطأ، كما يقول الله تعالى ﴿ **إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ** ﴾[هود/١١٤]

إذن الإسلام يفتح أمام المذنب التائب باب الأمل فيحفزه على عمل الخير والبعد عن الشر، وبالتالي تتحول حياته من ظلمة العصيان إلى نور الغفران وتتولد له طاقة البناء والعمران فيصبح معمراً لا مدمراً وأن يقابل الشر بالخير.

ولذلك يجب تجديد الخطاب الديني لتصحيح صورة الإسلام وزيادة الوعي السياسي وبيان أثره في توجيه الشعوب نحو القواسم المشتركة بين الأديان التي تتضمن التقارب بين الشعوب والتعايش السلمي بينها إلى جانب إعداد أجيال مستنيرة شريطة أن يهتدي الناس إلى الكيفية المناسبة لتحديد الخطاب الديني وأن يُعرض بأساليب جديدة لمخاطبة العنصرية والأفكار التحررية لدى الغرب وذلك للرد على المغرضين وما تؤدي إليه الإشاعات من نتائج وآثار سلبية.

التحدي الثالث عشر: ضعف الهمة والإرادة

وهو يُعد من أخطر التحديات لأنه يأتي من داخل الأمة العربية إذ أصبح من الأمور الواضحة كل الوضوح ظهور العديد من السمات التي أصبحت تهدد تقدم الأمة الإسلامية لأنها تأتي من الداخل فانتشر بين الشباب على وجه الخصوص اللامبالاة والإهمال، والتقليد الأعمى والتسيب الخلقي وافتقاد الوعي الثقافي وبما يتبعه من قصور في الوعي الديني والانهيار الخلقي بالإضافة إلى الانقياد نحو التيار المادي وإهدار قيمة العمل، وعدم الاهتمام بالاستثمار الصحيح للوقت، وتدني المستوى المعرفي والانغماس في العديد من الأمور اللاأخلاقية مثل الإدمان والزواج العُرفي كغطاء لعلاقة غير شرعية والرشوة والفساد وغير ذلك من تلك الأمور التي ترجع إلى ضعف الوازع الديني، والتفكك الأسري وعدم وجود القدوة أو المَثْل الأعلى وهذه دعوة للصحوة الدينية أقدمها إلى جميع فئات الأمة الإسلامية شباب وشيوخ، رجال ونساء فنحن جميعاً نحتاج إلى العودة إلى المبادئ والقيم والمُثل العليا التي يمكننا من خلالها إصلاح جميع أمور الأمة الإسلامية.[١١]

كما أننا نلاحظ إذا نظرنا إلى الأمة الإسلامية التي تمثل أكثر من ١/٥ سكان العالم فإنه توجد مفارقة غريبة برغم أننا نمتلك جميع المقومات التي تهيئ لنا الفرصة للانطلاق نحو آفاق التقدم والازدهار بلا حدود سواء كانت تلك المقومات روحية أو مادية أو بشرية، إلا أن الواقع الحالي يُكذب كل ذلك فنجد صورة مختلفة تماماً عن تلك الصورة المشرقة التي نحلم بها فنجد الأمة الإسلامية متقطعة الأوصال منهوكة القوى مستنزفة الموارد مسلوبة الإرادة يوجد بين أغلب أفرادها بل وشعوبها وحكوماتها صورة مُظلمة تُدمي قلب الصديق وتبهج قلب العدو وفي نفس الوقت نجد العالم من حولنا يُسرع الخطى وينطلق في كل الاتجاهات وركب الحضارة يسير بخُطى متسارعة وفق متطلبات العلم ومكتشفاته الأمر الذي يجعلنا أُمة عاجزة عن المتابعة لكثرة تسارع التقدم الحضاري وبدلاً من

أن نتدارك الأمر ونحاول جاهدين تخطي ما يخوطنا من عقبات نجد أن أغلب علماء ومفكري الأمة الإسلامية ينشغلون بقضايا هامشية عفا عليها الزمان بينما تحاول القلة القليلة من المهمومين بقضايا الأمة الإسلامية بحق الدعوة لصحوة من الغفوة وأن نفيق عسى إن وحدنا جهودنا وتعاونا فيما بيننا أن نثبت وجودنا بين الشعوب الأخرى.

التحدي الرابع عشر: التحدي الاقتصادي

ومن أخطر التحديات التي تواجه العالم الإسلامي هي **المشكلة الاقتصادية** وهي مشكلة قديمة الأزل منذ أن وُجِد الإنسان وبسببها اختصمت الجماعات واشتعلت الحروب بين الدول وقد أثبتت جميع النظريات الاقتصادية فشلها في حل هذه المعضلة بينما كانت شريعة الإسلام وحدها القادرة على تحقيق الاستقرار والرخاء والسلام والقوة حيث أكدت للفرد حقه في الحياة والكسب والعمل والامتلاك وفرضت في نفس الوقت الزكاة كحق للمجتمع على الفرد فصار العطاء عاماً ومنتشراً ومستمراً.

بالإضافة إلى وضع نظام دقيق للتوريث مما أدى إلى وجود أساس يحقق الانتفاع بالملكية بين الورثة دون وجود حقد أو ضغينة حيث حدد للفقراء حقوقهم في أموال الأغنياء وحَرَّم تكنيز الأموال، ودعا إلى توظيفها واستثمارها لصالح الجماعة كما دعا صراحة إلى عدم الإسراف وحث على الاعتدال والادخار ووصف المبذرين بأنهم أخوة للشياطين وشدد على الحفاظ على أموال اليتامى والقُصَّر حتى يبلغوا أشُدهم ونبه إلى ضرورة كتابة جميع المعاملات المالية وبوجود شهود منعاً للحساسية والخصومات والظلم في التعامل وحرم الربا ودعا إلى التجارة وحث على الإنفاق في سبيل الله من طيبات ما رزق الله به عباده، وحرم القمار والتلاعب بالكيل والميزان.

وهكذا تعْرِضُ الإسلام صراحة لكل القضايا الاقتصادية بالحكمة ووضع إستراتيجية للاقتصاد الإسلامي من خلال تحديد المسئولية المتبادلة بين الفرد والجماعة وتحديد دور كل منهم وهذا يرجع إلى أن الإسلام دعا إلى الإصلاح بكل صورة يمكن أن نقابلها مثل إصلاح البدن والنفس والعقل والروح وإصلاح الفرد والجماعة والمجتمع ودعا إلى العمل الإيجابي سواء للإنتاج أو الخدمات ووضع حدود للمعاملات بين الناس، وشرع أحكام هذه المعاملات من ثواب وعقاب.

ولعلاج المشكلات الناجمة عن التحديات السابقة علينا ملاحظة الاهتمام بالعديد من الأمور الأساسية كما يلي:

١- الاهتمام بالقيم الخُلقية وتوظيفها لخدمة الأمة الإسلامية والمجتمعات في جميع أمورها لأن مشكلة الإنسان المعاصر تكمن في توقفه عن طرح الأسئلة وتأمل ما يحيط به والكسل الذي أدى به إلى الأخذ بالإجابات الجاهزة المقدمة إليه سلفاً والتي ربما تقوده إلى أفعال خاطئة وسلوكيات سلبية وهذا الأمر لا يتحقق إلا من خلال الالتزام الخلقي الذي تحث عليه كافة الأديان السماوية عامة والإسلام بصفة خاصة.

٢- الأخذ بالسلوك المعتمد على المسئولية الأخلاقية المستمدة من حرية الإنسان لأن كافة الأديان تهتم بحُرية البشر في كل أمور حياتهم وهذا الأمر ينبع من داخل الإنسان ذاته وليس خارجه، بشرط ألا يشوب تلك الحرية تحقيق مصلحة فردية أو اجتماعية وألا تنحصر في نطاق الصورة المادية للعالم فذلك الأمر سيجعلنا حبيسين العالم المادي وسيكون مصيرنا الضياع لأن الإنسان بوصفه إنساناً على العكس من الكائنات الأخرى لا يسير وفق الغريزة فقط بل لابد من الاستناد إلى القدرة العقلية بوصفنا كائن عاقل وهذا يعني التصرف بحرية بناء على تفكيرنا الحُر والسير وفق ما تمليه علينا رؤيتنا العقلية فالكائن العاقل لا

يتبع أي قائد بلا وعي كما هو الحال مع قطيع الأغنام الذي يسير خلف قائد القطيع دون وعي ويحذو حذوه مما يقوده إلى الوقوع في الهاوية فنحن بأعمالنا وأفكارنا وإرادتنا وسلوكياتنا نصنع مصيرنا وفي ذلك يقول القرآن الكريم ﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا مَّنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[الإسراء١٣/١٤/١٥]

٣- ضرورة إدراك ما نحن مقبلين عليه وما نتعرض له وذلك من خلال الإقتداء بما كان يفعله أسلافنا في مثل هذه المواقف التي كانت تمثل تحدياً للإسلام والفكر الإسلامي في عصور الإسلام الزاهرة، والتي كانت حافزاً للمسلمين في الوقوف أمام ما يحدث للأمة الإسلامية بقوة وصلابة ومواجهة تلك الصعوبات وتجاوزها بنجاح من خلال الاستيعاب التام للقضايا المختلفة وبحثها بنفس الأسلحة الفكرية بمعنى أن المواجهة كانت مواجهة فكرية فالحرب هي في المقام الأول حرب أفكار ولكل معركة من المعارك أسلحتها المناسبة لها وعلينا التسلح بالأدوات المناسبة لتلك المعركة وأن نثبت للآخرين ما تتضمنه الإدعاءات الخاطئة عن الإسلام من زيف وزعم خاطئ وأن علينا الإقتداء بالمنهج السلفي في مواجهة تلك التيارات الفكرية خاصة الدراسات الموّجهة نحو نقد الإسلام والمسلمين وإظهار بعض النواحي السلبية والتركيز عليها دون بحث الجوانب الإيجابية وهذا لا يتحقق إلا من خلال جعل لهذا الهجوم الفكري جانب إيجابي بأن يكون حافزاً لنا حتى نخرج من حالة الركود الفكري التي وصلنا إليها لننطلق من جديد ونعيد بناء وترتيب أفكارنا ونهتم بثقافاتنا وبذلك نواجه التحدي الفكري فننهض من كبوتنا وهذا يكون من منطلق السعي نحو الموقف الأقوى فنغير ما بنا من أمور سلبية تعوقنا عن التفكير الصحيح الإيجابي وعدم تبديد جهودنا فيما لا طائل منه من أمور تضعفنا وتأخذنا بعيداً عن التقدم مثل الانبهار بما يأتي إلينا من الثقافات الأخرى ونسيان ما لدينا من ثقافة

فكرية عميقة يمكننا بواسطتها الرد على سائر الثقافات رداً موضوعياً بعيداً عن اللهجة الخطابية الجوفاء.

٤- عدم الاستسلام إلى الفراغ الفكري لأن ذلك يجعل الإنسان عُرضة للاستجابة لآراء وأفكار منافية للقيم الخُلقية والدينية بل وربما تكون معادية لهويتنا وثقافتنا وهذا يجعلنا في الطرف الأضعف والآخرين في الطرف الأقوى وذلك مشروط بعجز الأمة الإسلامية عن معرفة هويتها وذاتها.

٥- علينا توجيه جهودنا في العالم الإسلامي لإقامة مؤسسة إسلامية عالمية لا تدين بالولاء لبلد معين بل يكون ولاءها الأول والأخير لله وحده عز وجل، ولرسوله محمد ﷺ وأن ننقل وجهة النظر الإسلامية الصحيحة إلى جميع الشعوب في شتى فروع العلم والبحوث المختلفة.

٦- أن نعمل على استقطاب الكفاءات العلمية الإسلامية في شتى بقاع الأرض بحيث نقف عل قدم المساواة مع التيارات الأخرى المعادية للدين الإسلامي فيكون لنا دوريات ومجلات علمية ذات مستوى رفيع وأن ننشر بحوثنا بلغات مختلفة.

٧- العمل على استعادة أصالتنا الفكرية واستقلال ثقافتنا في ميدان الأفكار فهذا هو الطريق الصحيح إلى الاستقلال الاقتصادي والسياسي لأن المجتمع الذي لا يصنع قيمه وأفكاره لا يستطيع بالتبعية الإنجاز في أموره الأخرى.

٨- أن يكون للأمة الإسلامية جهاز إعلامي مستنير للدعوة الإسلامية الصحيحة يتبنى وجهة النظر الإسلامية وتعريف الآخرين بها بكافة وسائل الخطاب الإعلامي المعتمد على النقد الموضوعي والبعيد عن التشويه والتحقير وأن نقدم كتب إسلامية باللغات الحية ووجود قنوات فضائية متفتحة لتصحيح

التصورات الخاطئة في الأذهان وعرض مناهجه وأسسه بأسلوب علمي يتوافق مع العقلية المعاصرة وذلك بتقديم حلول إسلامية لمشكلات المسلمين بعصرية وموضوعية ولقد ظهرت في الآونة الأخيرة بوضوح بعض تلك القنوات المعتدلة والتي لديها رؤية صحيحة لكيفية تعريف العالم بالدين الإسلامي الصحيح مثال ذلك قناة الرسالة.

٩- السعي نحو وجود لجنة من العلماء المتخصصين للقيام بالترجمة الصحيحة والدقيقة للقرآن الكريم باللغات الأجنبية لسد الطريق على الترجمات الأخرى التي تسعى نحو التحريف والتغيير لمعاني القرآن الكريم لغرض خفي في نفوس أصحاب تلك الترجمات وكذلك اختيار مجموعة متميزة ومناسبة من أصحاب الفكر المستنير لجمع وترجمة الأحاديث النبوية الصحيحة المُحْكَّمة الإسناد وتفسيرها بما يتفق مع متغيرات العصر الحديث حتى تكون نبراساً واضحاً للإسلام والمسلمين.

١٠- الانتباه إلى دعاوى المستشرقين وفحصها جيداً وعدم التقليل من شأنها لأنها من ضمن العوامل التي شكلت موقف معادي من الثقافات الأخرى من الإسلام على مدى قرون عديدة وكان الدافع لذلك أسباب دينية ولذلك لا يجب إغفال هذا التأثير أو التقليل من شأنه سواء كان تأثيراً إيجابياً أم سلبياً وعلينا بالتالي بحث تلك الأفكار ودراستها دراسة متأنية من جهة العلماء المتخصصين أصحاب الرؤية والبصيرة المستنيرة.

١١- متابعة وفحص ما يتم دسه في بعض تفسيرات القرآن الكريم من إسرائيليات تهدف نحو إضعاف الإسلام والتشكيك في قيمه وذلك لأسباب سياسية تتصل بخدمة الصهيونية كفكرة أولاً ودولة ثانياً ونحن لسنا في حاجة إلى تأكيد ذلك إذ يمكننا تبينها بوضوح في قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ [المائدة/٨٢].

١٢- كذلك علينا الانتباه إلى بعض الكتابات عن الإسلام والمسلمين من بعض الكُتاب والمستشرقين الذين حاول بعضهم تطبيق المقاييس المسيحية على الدين الإسلامي وعلى نبيه محمد ﷺ لأن المسيح في نظر المسيحيين هو أساس العقيدة ولهذا تُنسب المسيحية إليه وبالمثل نجدهم أطلقوا على الإسلام إسم المذهب المحمدي وذلك بهدف إعطاء انطباع بأن الإسلام دين بشري من صُنع محمد وليس من عند الله بينما نسبة المسيحية إلى المسيح لا تُعطي هذا الانطباع لاعتقادهم أن المسيح ابن الله.

١٣- الانتباه إلى الهجمة الشرسة على الدين الإسلامي ونبيه محمد ﷺ والتصدي لذلك بكل قوة فهذا واجب على كل مسلم صغير أم كبير رجل أم امرأة دون تفرقة فنجد الرسوم المسيئة إلى الرسول ﷺ وكذلك القصص المليئة بالبذاءات والتي تستند إلى مقارنة بين سيدنا محمد ﷺ والمسيح عليه السلام من خلال جعل المسيح هو المقياس الذي يُقاس من خلاله رأيهم فجعلوا محمد ﷺ مزواج شهواني في مقابل المسيح الذي لم يتزوج ومحمد محارب سياسي أما يسوع فهو مُسالم مغلوب ومُعذب يدعوا إلى محبة الأعداء وغير ذلك من الآراء المجحفة والتي لا تستند إلى تقييم علمي موضوعي ودس هذه الآراء في كافة المجالات وعلى رأسها المجال الإعلامي، والفنون بأنواعها بل جعلها في حوار أبطال بعض الأفلام حتى الكرتونية منها الموّجهة للأطفال.

١٤- تصحيح الصورة المغلوطة عن الإسلام والمسلمين من خلال إظهارهم بمظهر عدم التسامح ورفض الحوار مع الثقافات الأخرى والميل نحو العنصرية الثقافية والتمييز الحضاري وهذا لن يتحقق إلا من خلال الاعتراف بثقافة الآخر لتعزيز الحوار بين الحضارات بكل أشكاله سياسي وثقافي وحضاري وأخلاقي مع الحفاظ على عقائد وقيم المجتمع وأخلاقياته وتقاليده لأن القيم الأخلاقية قيم مطلقة ليست قاصرة على ديانة أو شعب من الشعوب.

مراجع الفصل الأول

١- د/ محمود حمدي زقزوق –مرجع سابق- ص ص ٢٤- ٢٥.

٢- نفس المرجع السابق – ص ص ٢٩ – ٣١.

٣- نفسه – ص ص ٣٥ – ٣٨.

٤- د/ مراد وهبة – مرجع سابق – ص ٧٧.

٥- د/ محمد حسين هيكل –الإيمان والمعرفة والفلسفة- دار المعارف ١٩٦٤ ص ص ٥- ٦.

٦- د/ زكريا إبراهيم –الأخلاق والمجتمع- الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٨ ص ص ٦- ٧.

٧-مصطفى محمد الطحان –مرجع سابق- ص ص ٢٢- ٢٣.

٨-نفس المرجع السابق ص ٢٥.

٩- د/ ناهد نصر الدين عزت –توظيف القيم الفلسفية في تدعيم الانتماء لدى الشباب- الهيئة العامة للكتاب سنة ٢٠٠٠ ص ص ٣٢ – ٣٥.

١٠- د/ مراد وهبة –مرجع سابق- ص ٢٠.

١١- د/ ناهد نصر الدين عزت –مرجع سابق- ص ص ٥٦ – ٥٧.



الفصل الثاني

القيم الأخلاقية وحقوق الإنسان

الفصل الثاني

القيم الأخلاقية وحقوق الإنسان

مقدمة:

من المتعارف عليه أن الشرائع السماوية جميعها مهما تنوعت طرقها واختلاف مظاهرها تتلاقي جميعًا في أصولها العامة وتتحد في جوهرها الذي لا يختلف فيما بينها لأنها تنبع من مشكاة واحدة، فالمشرع واحد وهو "الله" سبحانه وتعالي، وإن تعددت الرُسل وتنوعت الكُتب، وهي مثلما تدعو إلى التوحيد الخالص والإيمان الحق، إنها في الوقت ذاته تدعو إلى الفضائل السامية التي تهذب الروح وتزكي النفس وتحيي الضمير، وهذه جميعًا أثر من آثار الإيمان وثمرة من ثمراته، ومن أهم الفضائل والآداب التي تهذب المؤمن وتنمي إحساسه وتجمل أخلاقه والتي دعا إليها الرُسل جميعًا هي فضيلة **الحياء** إذا لم تستح إفعل ما شئت وهذا معناه أن الإنسان إذا لم يستح من الله الذي خلقه فإنه يمكن أن يفعل أي رذيلة من الرذائل واستباحة إرتكاب كل ضلالة وفعل كل سيئة، ذلك لأن الحياء يمنع الإنسان من فعل ما يُعاب أو يُذم، والحياء دليل على صادق الضمير الحسي، ومن تخلق به عصّمةُ من ارتكاب السوء ومخافة الله وذلك يؤدي في النهاية إلى مراعاة حقوق الإنسان وعدم أكل حقوق الآخرين وهذا ما سوف **نتبينه فيما يلي**:-

في البداية يمكن القول بأن النظام الإسلامي هو الحل الحقيقي لكل ما يواجه الفرد والمجتمع الإسلامي من مشكلات، لأنه تأسس على أن المسلم الحق هو الذي يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة، يزرع الخير ويمارس الصدق ويبذل التضحية، يعدل ويؤمن بالشورى وحماية الحريات دون

تعصب للون ولا للطبقة ولا لجنس من الأجناس، يسعي إلى تحقيق العدالة الاجتماعية والتكافل الاجتماعي بين الناس، يكرم الحياة ويشيد بالعقل ويوازن بين الفرد والمجتمع؛ إنه في هذا جميعه يسعي إلى تحقيق **مكارم الأخلاق**، ولكي يستطيع الإنسان أن يقوم بدوره كاملاً ينبغي أن يكون حرًا.

والسؤال الآن من الذي يصون للإنسان حريته؟ ومن الذي يحفظ عليه حقوقه؟

إنه النظام الإسلامي الذي يقيم شرع الله في الأرض وفي ظله يتم مراعاة الحقوق وصيانة الحرمات ومن خلاله يأخذ كل ذي حق حقه، قال تعالي: **﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾** [آل عمران آية ١٠٤]، ومن أخطر القضايا التي تواجه الأمة الإسلامية أو التجمعات الإسلامية هي **قضية الشورى** التي ترتكز على إقامة العدل لأن إشاعة العدل بين الناس ينشر الطمأنينة والأمن فيما بينهم ويقوى علاقات الأفراد بعضهم البعض.

والعدل الذي ينادى به الإسلام هو عدل مطلق يساوي بين الناس على اختلاف ألسنتهم وألوانهم وأديانهم وأماكن تواجدهم وجعل العدل أساس الحكم ودعامته مما يؤدي إلى التسامي فوق المصالح الدنيوية، ويحمي الحريات من منطلق أن الحرية حق لكل إنسان سواء كان مسلم أو غير مسلم، باعتباره إنسانًا وهذه الحرية تكون على الإطلاق سواء الحرية الدينية أو السياسية أو الفكرية.(1)

كما أن الإسلام يوازن بين الفرد والمجتمع، قال تعالي: **﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾**[العصر الآية ١:٣]، كما قال تعالى: **﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾** [المائدة آية:٢]

ومن الأمور الأساسية في الدين الإسلامي حماية الضعيف دون التفرقة بين الجماعات المختلفة والدعوة إلي عدم إهدار حقوق الطفل أو الشيخ أو المرأة، وهذا الاتجاه في الدين الإسلامي كفل للمرأة جميع حقوقها وتكريمها مثل الرجل وإقامة الحياة الاجتماعية على العنصرين معًا المرأة والرجل مما أدي إلى أن رفع عنها الظلم التاريخي واسترداد المرأة لإنسانيتها، وأعطاها جميع الحقوق الفردية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية مع مراعاة طبيعتها كامرأة في مجال العمل.

وهذا يؤكد أهمية العنصر البشري في الإسلام والحفاظ عليه من خلال إشاعة الأمن والأمان وتوفير جميع أسباب السلام النفسي الذاتي والاجتماعي.

فالإسلام يأمر بالعدل الذي لا يتأثر بالخصومات الشخصية أو المعنوية أو النفسية فهو يأمر بالتقوى وأول درجات التقوى **العدل** الذي حض عليه الإسلام وأمر الفرد بأن يسمو فوق الخصوصيات الذاتية والعوارض الطبيعية مثل صلة القرابة ولا يختلف الحكم حسب الحالة مثل الفقر والغني والقوة والضعف.

وهذا جميعه يؤكد على توحيد المعيار في الحكم وهو العدل وذلك يتضح في قوله تعالي:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِياً أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً** ﴾ [النساء آية ١٣٥].

هذا هو **العدل والأمن** الذي يدعو إليه الإسلام والذي أدى إلى اجتذابه مئات الملايين من البشر واعتناقهم الدين الإسلامي في شتي بقاع الأرض مما حقق بهما عالميته.[٢]

كما أن الإسلام شجع على العديد من الأمور من أهمها حرية الفكر، وحرية التعبير، ورفض العدوان والإرهاب وعدم ترويع الآمنين، وكفالة اليتيم،

وعدم أشاعةُ الظلم والقهر، وعدم الانحياز، وحفظ حقوق الجار والتعامل بالحسنى مع الأديان الأخرى والأجناس المختلفة ورفض العنصرية.

كذلك من الأمور الأخلاقية التي يجب على المرء التحلي بها **روح التسامح** لأنه في ظل هذا التسامح يتاح للمرء حرية التفكير والتعبير عن الرأي، وينتفي التعصب الأعمى ويختفي العنف والإرهاب الفكري.

كما أن التسامح يعني فتح المجال أمام التعددية الفكرية والثقافية بما يكون مدخل للإلتقاء مع الحضارات الأخرى والانفتاح عليها وإقامة حوار معها والسعي لسيادة السلوك الأخلاقي في مقابل الحضارة المادية البحتة التي يشترك في التأثر بها كل فرد دون أن يغيب عنا أن **هدف الحضارة هو الإنسان** قبل أي شيء آخر الذي يؤكد على معنى الإنسانية والحفاظ على حرية الفرد وكرامته. أي أن هناك ارتباط لا ينفصم بين الأخلاق والإنسانية فالأخلاق تذهب إلى المدى الذي تذهب إليه الإنسانية، والإنسانية معناها توفير العناية والاعتبار لوجود أفراد الإنسانية وتحقيق سعادتهم فإذا ما افتقدت الحضارة مبدأ **الإنسانية** فإن ذلك يعني وجود الأخلاق الزائفة وانهيار الحضارة.

ولذلك على الإنسان أن يتحلى بالقيم سواء كانت قيم دينية أو أخلاقية أو جمالية وأن يراعى السيطرة على كل من قوى الطبيعة وأيضا السيطرة على نوازعه الداخلية وأهوائه وشهواته حتى تكون منضبطة بالقيم الدينية والعقلية والأخلاقية والجمالية.

ويلاحظ أنه دائمًا ومن الأزل يرتبط مفهوم الحضارة بمفهوم التقدم بمعنى أن الحضارة نقلة تقدمية بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى بأن يكون التقدم في الفكر وفي السلوك وفي أسلوب التعامل مع الناس والأشياء. وهذا كله في إطار منظومة القيم التي تتعدى الإطار القَبلي الضيق إلى الدائرة الإنسانية الأوسع

والأرحب حيث يقول ألبرت شفيتسر في كتابة فلسفة الحضارة "إن الحضارة بصورة عامة هي التقدم الروحي والمادي للأفراد والجماهير على السواء"، وبالتالي يكون للحضارة جانبان: جانب مادي وجانب روحي.

وقد كان للإسلام دور كبير في تنبيه الأذهان إلى التأكيد على العنصر الإنساني الشامل حيث قال تعالي: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾** [الحجرات الآية:١٣].

وهذا التعارف يُعد مُفتاحاً للتفاهم والتعاون المشترك بين البشر في سبيل ترسيخ قيم إنسانية مشتركة ومن هنا اعتبر الإسلام الاعتداء على فرد واحد من أفراد بني الإنسان بمثابة اعتداء على الإنسانية كلها وهذا يتضح في قوله تعالي **﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾** [المائدة آية: ٣٢]

وهنا نلاحظ إرساء لأهم قواعد حقوق الإنسان وهي عدم **الاعتداء**، والمحافظة على نفس وحياة الآخرين.

وبالتالي لابد من أن يسيطر عقل الإنسان على نوازعه، فلا يكفي أن يسود العقل على الطبيعة الخارجية، بل لابد أن يسيطر الإنسان على نفسه ولابد أن توجد قيم تحكم مسيرة التقدم على كل من المستوى المادي والمعنوي.

وإذا كان الإنسان مسئول عن أفعاله فإن هذه المسئولية تعني الالتزام الأخلاقي، فلا يكفي أن يستفيد الإنسان من أسباب الحضارة، لأن الحضارة ليست إنتاج أو استهلاك فقط ولكنها قيم متعددة، ولذلك لابد من الالتزام الأخلاقي بمنظومة القيم الحضارية والسلوك الحضاري؛ لأن الحضارة في جوهرها تعد إلتزام أخلاقي يجعل المرء مسئول عن أفعاله الخاصة وعلاقته بالآخرين، وبالتالي توجد مسئولية مشتركة تضامنية تقوم على مراعاة مصالح الآخرين مثلما يراعى

الإنسان مصلحته الشخصية دون وجود تعارض بينهما[٣] ، هذا يرجع إلى أنه يوجد في الإنسان قوتان متنافرتان **الأولي**: تجعل الإنسان شخصًا إيجابيًا، **الثانية**: تجعل منه شخصًا سلبيًا.

القوة الأولي: تستمد مصدرها في حياة الإنسان من حُب الظهور والميل إلى الرئاسة والرغبة في السيطرة، وما يتصل بها من حرص على القهر وإيثار للقوة والغلبة والطمع في الفخر والِكبر والاعتداد بالنفس وغير ذلك من شتي الصور التي تظهر فيها تلك المعاني في سلوكيات الإنسان وتصرفاته.

بينما القوة الثانية: يصدر عنها نزول على إرادة الأقوى والاستسلام للغالب واعتماد المرء على غيره وحرصه على الطاعة أو إلتزام عقيدة معينة بدون تفكير، وغير ذلك من مظاهر الخضوع في الأفراد والجماعات خضوعًا يقودها للتسخير ولحل هذه المشكلة على الإنسان الاعتماد على التوجيه الُملهم إذا أُحسن استغلاله نتج عنه أعظم الأثر في توظيف هاتين القوتين بما يلائمهما من قوى أخرى.

فتتصل أولى القوتين **المسيطرة** بألوان الغضب والسُخط في الإنسان حتى تتصل **بالقوة الثانية** وهي المرتبطة بمظاهر الخوف والرعب وما إليها ولكل قوة من القوتين اعتدالاً وشدة وتهذيبًا وإصلاحًا بما يؤثر في حياة الفرد والجماعة.

ذلك أن الإنسان يحتاج إلى **القوة والإرادة والفاعلية** التي تحقق ما يريده الإنسان لتحقيق النجاح لأن الفاعلية هي التي تحقق الفكرة والرغبة داخل الإنسان والتي تنبع من عواطفه ورغبته في تحقيق ذاته وأن يؤكد شخصيته وأن يشعر بالرضا عن نفسه وبما يدفعه إلى مزيد من التقدم والرغبة في التطور في شتي أمور حياته.[٤]

والسؤال الآن: هل الدين الإسلامي كسائر الأديان في أسسه وغاياته؟ أم هو مختلف عن سائر الأديان الأخرى كأن يشمل أمور الدين والدنيا والعلم وبالتالي يكون رجال الدين الإسلامي علماء؟

يمكن القول بأن الدين الإسلامي مكمل للأديان الأخرى وأنه يشمل الجانبين الدين والدنيا ولذا يقص القرآن الكريم نبأ من سبق محمد ﷺ من الأنبياء والمرسلين، ويبين في وضوح أن الله كان يُرسل لقوم رسولاً بالهدي والبيات إذا فسق هؤلاء القوم وضلوا السبيل واتخذوا من دون الله أربابًا.

ولقد كان مبعث الرسُل عليهم السلام ينحصر في قسم ضيق من المعمورة المعروفة في ذلك الحين لأن كثيرًا من سائر الأقسام كان في درك الهمجية فلا يستطيع أهله الوصول إلى إدراك ما في الأديان من معاني الأيمان. وكان الرسول يُبعث بعد أن يُحرِّف المتكلمون كلام الرسول الذي سبقه عن مواضعه، ويُدخلون عليه من الأباطيل والخزافات ما يفسده ويضل تابعيه، وكان كل دين ينقسم إلى عقائد وعبادات وأخلاق ومعاملات.

- فأما **العقائد** فظلت واحدة في الأديان كلها وهي الإيمان بالله وبالروح والبعث.

- وأما **العبادات** فتحورت بعض الشيء بتسلسل الأديان؛ وإن بقيت قريبة الشبه بعضها من بعض، فالصلاة والصيام والزكاة والحج تراها في اليهودية والمسيحية والإسلام مع فرق قليل أو كثير في الطقوس التي يقوم بها أهل كل دين عنها فيما يقوم به الدين الآخر، والعقائد والعبادات فروض واجبه الأداء على كل متدين وإلا كان مقصرًا في دينه وفي حق الله والعقائد غير قابلة بطبيعتها للتطور لأنها قائمة على العلاقة بين الفرد وربه وغير متعلقة بالجماعة وهي لذلك واحدة في الأديان جميعًا مع ملاحظة أن العبادات فهي وإن قامت بين الفرد وربه إلا أنها تتصل

بالجماعة في أن الأفراد من أهل الدين الواحد يؤدونها لله على وتيرة واحدة، وهي لذلك دليل على أن الفرد على دين الجماعة وبالتالي هي تؤمن به.

وقد تناولت الأديان جميعًا الأخلاق على تفاوت فيما بينها في الشدة والهوادة في الأمر بها أو النهي عنها، وإن جعلت المثوبة عليها والجزاء عنها في الدار الآخرة وليس في الدنيا.

أما **المعاملات** فاختلفت الأديان في مبلغ تناولها إياها فمنها من لا يمسها إلا مسا خفيفًا كالمسيحية في القول **لا تزنِ ولا تسرق** وما إليها من الأوامر المتصلة بعلاقات الناس بعضهم البعض مع ملاحظة أنه في المسيحية لم يترتب على مخالفة هذه الأوامر **عقابًا دنيويًا** بل ترتب عليه **عقابًا دينيًا**.[٥]

أما اليهودية والإسلام فتناولتا المعاملات أكثر مما تناولتها المسيحية؛ وإن كان تناولهما إياها لم يتعد الحدود والقواعد العامة لأن المعاملات تتطور بتطور الجماعة فوضع أنظمة محددة لكل جزئية لا يتفق مع هذا التطور.

وهذه العقائد والعبادات والأخلاق والمعاملات مما اشتملت عليه الأديان إنما نزل به الوحي على الرُسل من عند الله وهي لذلك ثابتة في أصولها لا يصح أن تخضع لحكم التطور وكالأديان المُنزلة نجد سائر الأديان الأخرى كالبوذية والبرهمية وغيرهما تنقسم كل منها إلى عقائد وعبادات وأخلاق ومعاملات وبعض هذه الأديان تتحدث عن المعاملات أكثر مما تحدث عنها أي دين مُنَزل.

ويلاحظ أن الإسلام يعد أكثر الأديان المُنَزلة تنظيمًا للمعاملات إلا أن ما ورد في القرآن الكريم عنها لم يتعد القواعد العامة كما قدمنا من قبل.[٦]

وقد يجوز القول بأن نقطة البدء لدينا في الناحية الخلقية هي الطفل الذي نحاول تعويده على **الفضيلة** التي تهذب النفس وهي لذلك مفتاح القيم الخلقية،

وهي التي تساعدنا على تنمية الوعي الديني لديهم وإعلاء القيم والمُثل العليا وأن يصبح لديهم الأساس الذي ينطلقوا من خلاله وهو مكارم الأخلاق.

وفي مرحلة الطفولة نحن نحتاج إلى تعويد الطفل مكارم الأخلاق حتى يكون لدينا مجتمع قادر على تحقيق التعاون والسلام بين كل البشر، من خلال العمل الدءوب والربط بين المسئولية الذاتية والمسئولية العالمية فكلا المسئوليتين مرتبط بالآخر لأننا نعيش الآن في عالم مفتوح وفي مجتمعات تخضع لتأثيرات عالمية وهذا يجعل المسئولية الذاتية بداية للوصول إلى المسئولية العالمية فكل تصرف فردي يرتبط بصورة ما بعلاقات أخرى وله نتائجه المرتبة عليه.

وعلى هذا النحو يمكن صياغة **المنهج المقترح** للتغلب على ما يسود العالم اليوم من كوارث وجرائم وعنف برغم أن هذا جميعه يرتكب باسم الإنسانية وهو بعيد كل البُعد عنها أو أي سلوك إنساني وذلك المنهج يتضح في قوله تعالي **﴿ لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾**. [الأحقاف الآيتان ١٢، ١٣].

فإن أردنا الوصول إلى تحقيق السلام ونشر العدل و سيادة حقوق الإنسان فينبغي أن نفعل ذلك ونحن على وعي بما نفعله وأن يعرف الإنسان بأن السلوك المسئول الواعي هو خطوة في سبيل تحقيق العدل والحق بين البشر فالجميع أبناء آدم.

والإسلام يطلب منا تحقيق وحدة الإنسانية وأن نخرجها من حيز الإمكان إلى حيز الوجود الفعلي، وأن **نتوصل إلى السلام بالأخوة في العقيدة**، وقد لخص النبي ﷺ هذا السلوك حين قال:" إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق".(رواه البخاري في كتاب الأدب المفرد).

ومن هذا المنطلق يكون الإسلام هو دعوة إلى التعاون والتآخي بين البشر وعدم رفض الآخر والسبيل إلى تحقيق ذلك هو **التقوى** الذي يعد ممارسة عملية للعقيدة في حياة الناس وفي معاملاتهم اليومية ويعطي نفس الأهمية التي يعطيها للأُسس الخمسة التي يقوم عليها الإسلام وهي **الشهادة، إقامة الصلاة، إيتاء الزكاة، صوم رمضان، والحج إلي بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلاً**، وهذا يتأكد في قوله تعالي:﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ [الانعام آية ١٦٢]، وهكذا لا يجوز قصر مفهوم العبادة في الإسلام على المعني الضيق الذي يعني أداء الشعائر الدينية المعروفة؛ فكل عمل يقوم الإنسان به في حياته اليومية سواء كان ديني أو دنيوي يُعد عبادة ما دام قد قصد به وجه الله تعالي بإصلاح الأرض ومنع الفساد، والإنسان لا يستطيع أن يتحمل مسئوليته تجاه الآخرين وتجاه العالم بصفة عامة إلا إذا تحمل مسئوليته الذاتية بطريقة سليمة.

والتزامات الإنسان تجاه المجتمع الإنساني ليست التزامات مفروضة عليه من الخارج وإنما هي التزام خلقي نابع من ذاته فلو لم أعدل في حق الآخرين فلا يجوز لي أن أنتظر منهم أن يعدلوا معي والإنسان الذي يتنكر لالتزاماته الخلقية تجاه الآخرين هو إنسان يعزل نفسه عن المشاركة الإنسانية وهذا يرجع إلى أن الإنسان بطبيعته كائن اجتماعي يحتاج إلى التعامل مع أفراد المجتمع الإنساني، وبالتالي لابد أن يتحلى بالإيمان والسلوك القويم وهذا الاتجاه دعانا إليه محمد ﷺ في وصفه لعلاقة الفرد بالجماعة من خلال تعاون جميع الأفراد في السفينة وتحديد المسئولية الجماعية في الحفاظ على وجودهم وأمنهم للوصول إلى بر الأمان سالمين.

ولتحقيق التقدم المنشود علينا أن نكون أُمَة واحدة لا خلاف بين شعوبها وأن نسعى إلى تحقيق صالح الجماعة بالإضافة إلى صالح الفرد وأن نحقق مبادئ الإسلام وهي **الشورى** والتي نعرفها حاليًا باسم الديمقراطية، و السعي نحو إرساء قواعد الحرية واحترام شخصية المواطن وإرادته وبناء النظام الصحيح للدولة الذي

يمكن بواسطته جعل الناس جميعًا يصلون إلى الاستمتاع بممتلكاتهم وبإمكانياتهم وملكاتهم العقلية والفكرية بحُرية تامة، وأن نسعى إلى تحقيق ذلك جميعًا حكام ومحكومين بصدق وإخلاص.

كما طالبنا الإسلام بالحفاظ على أنفسنا مثلما نحافظ على حياة الآخرين في قوله تعالى:﴿ وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً﴾{النساء/٢٩} ناهيًا بذلك عن الانتحار وعن قتل الآخرين أيضًا لأنه عند الله قتل لنفس القاتل ذاته قال تعالي: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ [المائدة آية: ٣٢].

وهذا القول إن دل على شيء فإنما يدل على سمو النظرة الإنسانية الشاملة العامة، ويمكن القول بأنه علينا التمسك بخمس صفات تحلى بها محمد ﷺ وهي تكشف عن مكانته وفضله على العالم والإنسانية وهما:-

١- الرحمة: وهي مستمدة من قوله تعالي:﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾.{الأنبياء/١٠٧}

٢- اللين والرفق: ونجدها في قوله تعالي﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾.[آل عمران/١٥٩]

٣-العفو: لقوله تعالي ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾، {الأعراف/١٩٩} ومن أعظم صور العفو، العفو عن أهل مكة في يوم الفتح.

٤-التيسير والتخفيف: تقول السيدة عائشة رضي الله عنها ما خُير رسول الله بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثماً أبعد الناس عنه.

٥- **حُسن الخلق**: وهذا يتلخص في قوله تعالي **كان خُلقه القـــرآن** وقـــد نبـــه الرسول ﷺ بإتباع ما يلي في قوله **أوصاني ربي بتسع .. أوصـــيكم بهـــا**، أوصاني بالإخلاص في السر والعلانية، والعدل في الرضا والغضب والقصد في الغني والفقر، وأن أعفو عمن ظلمني، وأعطي من خدمني وأصل من قطعـــني، وأن يكون صحوي فكرًا، ونطقي ذكرًا ونظري عبرًا.

وفي النهاية يمكن القول بأن **حقوق الإنسان** العربي المـــسلم والمـــسيحي واليهودي على حد سواء هي الهدف الأول الذي تندرج تحتـــه كـــل الأهـــداف الأخرى وهي حقوق المواطنة–حقوق الطفل- رعاية المـــسنين والـــشباب وذوي الاحتياجات الخاصة من الجنسين..الخ والأمة الإسلامية والعالم العربي لن يتقـــدم ولن يصحح الصورة السلبية التي تحتل أذهان شعوب العالم كلها عن المسلمين إلا بتصحيح أوضاع كل مواطنيه بلا اســـتثناء لأن **الحريـــة** لا تتجـــزأ، مثلمـــا أن **الديمقراطية** لا تتحقق إلا إذا شارك فيها جميع الأفراد، كما أنه يجب علينا تبني كل المشروعات والقرارات السياسية التي تهدف إلى تحسين أوضاع المواطنين في العـــالم العربي وسائر المسلمين.

وإذا كان في بعض المجتمعات، والقطاعات نلاحظ تفـــاوت اقتـــصادي واجتماعي وسياسي بين الأفراد وتفرقة بـــين المـــرأة والرجـــل، وأن النـــساء في المجتمعات العربية لا زلن يشكلن أغلب فقراء وأمي العالم، بحيث بلغت معـــدلات الأمية بين النساء العربيات لعام ٢٠٠٣ نسبة ٤٩% وأن المرأة العربية لا تـــشغل أكثر من ٥,٨% من المقاعد في البرلمانات العربية، وفي سوق العمل بلغت نـــسبة النساء ٢٩% من نسبة القوى العاملة. وهذا معناه أن المرأة العربيـــة تعطـــي ولا تأخذ، بل أيضًا تعاني أغلب النساء من التعرض للعنف الجسدي والجنسي داخـــل وخارج الأسرة، كما أنه في فترة الحروب – كما هو معروف أغلـــب الـــضحايا تكون من الضعفاء **أطفال – نساء – شيوخ**.

ورغم بذل العديد من الجهات سواء كانت من الجمعيات الأهلية أو التنظيمات الحكومية المختلفة مثل المجلس القومي للمرأة في مصر، إلا أننا نحتاج في وقتنا الحاضر إلى المزيد من الجهود لتحقيق التوازن بين أفراد الشعب بقطاعاته المختلفة وذلك من خلال تعديل القوانين والتوسع فى إنشاء محاكم الأسرة أو مجالس قومية متخصصة في العناية بحقوق الإنسان والمرأة والطفل.

- فضلاً عن ذلك التواصل مع المنظمات العربية العاملة في نفس المجال ومد يد العون النظري والتطبيقي وتبادل الخبرات فيما بينها من خلال لقاءات دورية وعقد المزيد من المؤتمرات لزيادة التواصل.

مع مراعاة أن يكون **تمويل المشروعات الخاصة بالتنمية الاجتماعية** عن طريق المؤسسات المختلفة لضمان عدم سيطرة رأس المال بدلاً من اللجوء إلى منابع تمويل أجنبية خاصة وأن ثلث ثروات العالم يتركز في بلادنا الغنية بمواردها الطبيعية والبشرية كما أنه يجب علينا مراعاة الاهتمام بأن تحتوى البرامج الدراسية على الأسس المتعارف عليها في العلوم الأساسية والإنسانية والثقافية والقومية، مع الالتزام بالقيم الاجتماعية والعادات والتقاليد المصرية والعربية الأصيلة.

- كذلك يجب وضع مظلة قانونية واجتماعية واقتصادية لرعاية وحل مشكلات الفقر الشديد للأسرة وذوي الاحتياجات الخاصة وبصفة خاصة الأيتام فاقدوا الأهلية، والنشيء في المجالات التأمينية والاجتماعية والتعليمية والمهنية.

- مع ملاحظة ضرورة الاهتمام بالتدريب لإخراج الكوادر في المجالات المطلوبة وللأعمار السنية المختلفة دون التفرقة بين الذكر والأنثى لتنمية المجتمع والفرد سوياً.

- كذلك توفير الإعتمادات المالية المختلفة مثل مشروع صندوق كفالة ذوي الاحتياجات الخاصة لحل مشكلاتهم في المجالات المختلفة.

- إعداد برنامج يوفر الرعاية الاجتماعية والقضائية والثقافية للفرد والمجتمع.

- كما أنه يجب علينا التمسك بالإسلام ومبادئه التي تدعو إلى التسامح والمساواة والرحمة والعفو واحترام إنسانية الإنسان بمبادئها التي تفوق ما تنادي به الهيئات والمنظمات الدولية من حقوق الإنسان.

- الدعوة إلى الحرية والتحرر لأن إنسانية الإنسان لن تتحقق إلا إذا تحرر ضمير الإنسان وتحررت حياته من سلطان العباد إلى سلطان رب العباد.

- العودة إلى السلام مع النفس، والسلام مع الآخرين.

- الشعور بحقيقة جوهر الإسلام الذي كفل للإنسان الأمن والسلام كما يقرر الدين الإسلامي أسس يقوم عليها كنظام عالمي إنساني يقول الله تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ** ﴾ [سبأ ٢٨]، كما يقول تعالى: ﴿ **إنا نزلنا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ** ﴾[النساء ١٠٥]، ولذلك لا يجوز لقوم مهما علا شأنهم ومهما علت قرابتهم ومكانتهم في المجتمع أو في الأمة الإسلامية أن يّدعوا أن الإسلام لهم من دون الناس وأن لهم حقوقاً متميزة على بقية الناس لأن الإسلام ينطلق إلى الأمام ويستند في القول بهذه العالمية من نظرة إنسانية.

يقول محمد ﷺ " يا أيها الناس، إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب، إن أكرمكن عند الله اتقاكم، وليس لعربي على أعجمي، ولا لأعجمي على عربي، ولا لأحمر على أبيض، ولا لأبيض على أحمر فضل إلا بالتقوى". متفق عليه.

فليس في النظام الإسلامي أي نزعة للتعصب للون أو جنس أو شعب وليس في أي نظام قديم أو حديث نظرة للكيان البشري بمثل هذه النظرة الإنسانية الشاملة مثلما فعل الإسلام.

وليس في الإسلام أي تعصب لطبقة لأن جميع الأنظمة التي عَرفَها التاريخ صنفت البشر حسب الطبقة **عبيد، سادة، جنود، قادة، ملوك ورعية، كبار وصغار** سوى الإسلام الذي سما فوق جميع هذه الطبقات ونظر إلى الناس جميعًا نظرة أنهم سواسية. قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** ﴾ [الحجرات آية ١٠].

وليس في الإسلام تعصب لقومية ما أو لعصبية لأن هذه التقسيمات ليس لها علاقة **بجوهر الإنسان** لأن آصرة وأساس الربط في المجتمع هي العقيدة وهذا يرجع إلى أن العقيدة هي أكرم خصائص الروح الإنساني وبالتالي لابد أن تتجمع الإنسانية على أكرم خصائصها.

وأيضاً يسعى الإسلام إلى تحقيق العدالة الاجتماعية والتكافل الاجتماعي بين الناس وتأمين المساواة في الحقوق والواجبات حيث أن النظام الاقتصادي يهدف إلى تحقيق العدالة الاجتماعية أي تأمين حد مادي أدنى لكل إنسان يتناسب مع كرامته وينسجم مع المكانة العالية التي أرادها الله له وأن يحقق تكافؤ الفرص بحيث يحصل كل إنسان على حاجاته دون أن يبذل شيئاً من كرامته وإنسانيته.

ويلاحظ أنه بينما الأنظمة الأخرى السياسية أو الاقتصادية لا تقر إلا التشريع كوسيلة لتحقيق أهدافها نجد الإسلام في المقابل يعتمد على التوجيه إلى جانب التشريع الذي يتسامى بواسطته الإنسان على الضرورات المادية ويتطلع إلى حياة أسمى، والنظام الاقتصادي الإسلامي يتميز عن الأنظمة الأخرى بما يلي:

أولاً: إقرار الملكية الفردية في إطار مصلحة الجماعة.

ثانياً: تحريم الربا ومحاربة البنوك الربوية وما عدا ذلك يسمح بالمعاملات المصرفية وهي تختص بالقواعد التالية:

١- أن تقوم بنوك الودائع على عقد المضاربة.

٢- تأسيس البنوك الصناعية على عقد شركة الأموال .

ثالثاً: إقامة التكافل الاجتماعي -ليس على أساس مادي مثلما تفعل الأنظمة الاقتصادية المعاصرة- على صورة سامية من التعاون لضمان العدالة ووجود الخير وكفالة المصلحة الفردية والعامة، قال تعالى: **﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (صدق الله العظيم)** [المائدة آية: ٢]، فالتكافل بمعناه الشامل قائم على التعاون المؤدي إلى فعل الخير والبُعد عن الشر وحماية الضعفاء ورزق الفقراء والمعوذين بما يكفيهم، والإحساس العميق بمتطلبات الجماعة وما يصيبها وما تطمح إليه وتعمل له.

مراجع الفصل الثاني

١- د/ محمد حسين هيكل –مرجع سابق- ص ٣٥.


٢- نفس المرجع السابق ص ٣٨.

٣- الإمام أبوعلي المــودودي –نظــام الحيــاة في الإســلام- ص ٢٠ دار النهضة ١٩٣١.

٤- د/ ناهد نصر الدين عزت – توظيف القيم الفلسفية في تدعيم الانتماء لدى الشباب – مرجع سابق- ص ٣٩.

٥- د/ محمد حسين هيكل –مرجع سابق- ص ٣٩.

٦- د/ ناهد نصر الدين عزت –مرجع سابق- ص ٤٢.



الفصل الثالث

القيم الأخلاقية ومستقبل الإنسانية

الفصل الثالث

القيم الأخلاقية ومستقبل الإنسانية

مقدمة:

مما لاشك فيه أن القيم الأخلاقية ترتبط إرتباطاً وثيقاً بحياة الإنسان وسلوكياته وبالتالي تؤثر بالسلب أو بالإيجاب على حياته ومستقبله، والدليل على صحة ذلك الأمر ظهور العديد من التيارات المختلفة التي تتسم بسلوكيات تؤثر في جميع فئات المجتمع وعلى رأسها الشباب والنشئ وإذا استعرضنا تلك النقطة وجدنا الكثير من السلوكيات في العالم والتي تأثر بها بصفة مباشرة الشباب سواء في ذلك مسلمين أو مسيحيين أو يهود، وفي أي مجتمعات سواء كانت أمريكية أم أوروبية أم عربية وغير ذلك من الأمم والشعوب المختلفة وإذا نظرنا إلى وطننا العربي بوصفه قلب الأمة الإسلامية نجد إنحرافاً كبيراً وابتعاد عن جادة الصواب حيث انحط الذوق وفسد السلوك وصار الشباب يُؤْثر ما هو رخيص يثير الغرائز الدنيا، أو يُقبل على السلوكيات الشاذة التي تنفر منها الفطرة السليمة، وهذا الاتجاه يروج له العديد من الفنون التي انتشرت في الفضائيات والانترنت كذلك التليفونات المحمولة حيث تقدم الأغاني التي يبالغ فيها أصحابها في العري والنهم الجسدي لتحقيق الشهرة والجاه والمال دون الالتفات إلى الأثر السيئ على الشباب مما يضر بالفطرة السليمة لديهم هذا مجرد نموذج لعديد من السلبيات فأصبح العري يغطي أغلب جوانب حياتنا سواء كان ذلك فكرياً من خلال القصص المبتذلة أو الأفلام أو المسلسلات أو المهاترات بين ضيوف القنوات الفضائية.

والسؤال الذي أطرحه الآن أين ذهبت القيم الجميلة من حق وخير وجمال؟ لماذا طغت الماديات على حياتنا؟ لماذا وصل بنا الحال إلى هذا الدرك رغم

أن لدينا العديد من المثل والنماذج التي تتسم بحسن الخلق وجمال السلوك وعلى رأسها سيدنا محمدﷺ

لماذا اختفت رسالة المفكرين والمثقفين والعلماء نحو استقطاب هؤلاء الشباب الذين يمثلون أكثر من ٥٠% من أمتنا؟

إننا أحوج ما نكون إلي أن نمد الأيدي إلى هؤلاء الشباب وإنقاذهم من براثن الماديات والجهل والانحراف الخُلقي فنحن لدينا كنز يمكننا من خلاله تحقيق ما نصبو إليه وأن يشدنا نحو الطريق الصحيح إنه القرآن الكريم وسُنة نبيه بما فيهما من دستور للحياة السليمة والسلوك القويم.

وإذا كان الشباب في حاجة إلى من يوجههم ويرشدهم إلى المنابع الصحيحة التي يشتق منها ما يُنمي أخلاقهم ويزيد قوتهم ويدفعهم إلى الطريق الصحيح فيحيون حياة فاضلة ويعرفون كيف يختارون لعقلهم ووجدانهم مثلما يختارون لغذائهم.

فإنه يجب علينا وضع برنامج عملي يتكاتف فيه الجميع علماء ومثقفين وتربويين ورجال الدين لوضع برنامج يهدف نحو إظهار وصقل المبادئ الخلقية السليمة لدى الشباب، وأن نرشدهم نحو تعريفهم بالمُثل العليا من حق وخير وجمال، وأن ندربهم على كيفية التعرف على ذاتهم والاستفادة بما لديهم من شباب وإرادة وإدراك ما لديهم من ملكات وقدرات نفسية وعقلية.

وهذا جميعه لا يتحقق من خلال عمل دراسة وافية لهذه المعطيات والتي نبهنا إليها الفلاسفة قديمًا وعلى رأسهم سقراط الذي أكد على أنه لا يجب فرض السلوكيات على الإنسان من الخارج ولكن يجب علينا استنباطها من داخل النفس والذي سُمي باسم **منهج التوليد** وذلك لن يتحقق إلا بالتوجيه والإرشاد

والتدريب المستمر وتقديم منهج واضح سليم تلك الأمور دعانا إليها الإسلام منذ أكثر من ١٤ قرن وشدد عليه وهو الاهتمام بالتنشئة الصحيحة للشباب والنشئ، وإذا بحثنا في فترات ازدهار الأمة الإسلامية وجدنا العديد من النماذج التي يمكننا أن نستقي منها أُسس التوجيه النفسي والمعنوي والعقلي وبما يسمح بوجود جيل ذا خُلق وسلوكيات صحيحة تُعِينه على التصدي للغزو الفكري والثقافي الذي يعوق الأمة عن احتياز ما يعوقها عن تحقيق النهضة والحضارة.[1]

ولقد أكد العلماء أن السلوك يطابق الخُلق تمامًا، وإن كان في بعض الأحيان يتراءى لنا على أنه يضاده ولكنه في حقيقة الأمر ليس كذلك لأنه لا يمكن مطلقًا أن يخالف السلوك الخُلق سواء كان ذلك السلوك حَسَن أم سيء ولذا علينا الانتباه إلى تلك الجزئية حتى لا يتأثر بها أسلوب التعامل مع الآخرين.

أسُس القيم الأخلاقية:

تتلخص القيمة الخلقية في البعُد عن السلوكيات الخاطئة وهذا يحتاج إلى مراعاة أربعة جوانب:

١- الجانب الديني.

٢- الجانب النفسي.

٣- الجانب الاجتماعي.

٤- الجانب السلوكي (العملي).

أولا: الجانب الديني:

يقوم الإسلام على العديد من المقومات من أهمها:

- عبادة الله الواحد الخالق دون سواه.

- التسليم بنبوة محمد ﷺ وصحة رسالته.

- التزام قواعد الأخلاق الحميدة أي مكارم الأخلاق.(٢)

ومن هذا المنطلق يَصلُح الإسلام لكل زمان ومكان بحق، فليس في العقيدة الإسلامية أي قيود على حريات الناس أو عقولهم وليس فيه عبادات خاصة معقدة تحتاج إلى كهنوت أو مراسم خاصة، وليس فيها تحريم لشيء ينفع الناس.

ولكن المشكلة الحقيقية في المسلمين أنفسهم؛ لأنهم لا يحسنون الانتفاع بما لديهم فهم لم يعرفوا كيف يستفيدوا مما يتضمنه هذا الدين من قوى أخلاقية ومعنوية وفكرية وإنسانية فعجزوا عن أن يبلغوا مستواه وأن يكونوا جديرين بحمل لواء الإسلام واهتموا بالماديات دون الروحانيات واهتموا بالحصول على حقوقهم ونسوا حقوق الآخرين ولذا علينا تدارك هذه الأخطاء وتصحيحها حتى يمكننا من خلال القيم الخُلقية تحقيق النهضة في المستقبل.

المنهج الإسلامي من منظور أخلاقي:

إن الرسالة الإسلامية تهدف إلى التدبر النفسي والاجتماعي في القرآن الكريم للحياة الإنسانية لتحقيق الإصلاح الخُلقي والاجتماعي العام والدعوة إلى الأخذ بالنظرة الشمولية والفكرة الجامعة وعدم الاكتفاء بالنظرة الجزئية للأمور المختلفة والتي على أساسها يقوم دستور التفكير والطابع الفكري الذي يجعله يتمثل بوضوح لتحقيق الأهداف المطلوبة للأمور المختلفة وأن يكون ذلك على بينة وبصيرة.

ويلاحظ أنه توجد حقيقة ثابتة في الأديان كلها وهي أن الرُسل جميعًا اتفقوا على مطلب واحد في رسالاتهم وهو الدعوة إلى مكارم الأخلاق، ولقد أهتم الإسلام بصفة خاصة بالسلوكيات بين البشر في مجال المعاملات والتي لا تتحقق إلا من خلال العدل والإنصاف وإعطاء كل ذي حق حقه بصرف النظر عن اللون أو الجنس أو العقيدة.

حيث يبين لنا القرآن الكريم أن العدل أساس الملك مما ترتب عليه أن العقوبات التي جاءت في الشريعة الإسلامية إنما جاءت لحماية الإنسان والمجتمع من الفساد والإرهاب والظلم وأيضًا للمحافظة على كرامة الإنسان وعَرضِه ومالهُ وشرفه وحين يتحقق العدل يشيع الأمان والاستقرار بين الناس وفي المجتمع.

الرسول محمد ﷺ كنموذج وقدوة:

لابد من وجود مثل أعلى تؤمن به الجماعة وتجد من تطلعها إليه وهيامها به ما ينسيها ما في الحياة من آثام وشرور، وهذا المَثْل الأعلى يعطي للشباب والنشء بصفة خاصة المثال والقدوة الذي يتعلمون منه الأخلاقيات التي تأسست بدورها على السلوكيات الصحيحة ولذا يصف الرسول محمد ﷺنفسه قائلاً **إنما بُعِثت لأتمم مكارم الأخلاق**، وهذا يؤكد ضرورة وجود السلوك الحسن والأخلاق القويمة لدى المسلم ولذلك أوصانا الرسول ﷺ بحُسن الخلق حيث يقول "المسلم ليس بالسباب ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء".

ولقد قدم لنا الرسول ﷺ القدوة في ضرورة وجود التفكير المستقل فلا يجب علينا التقليد الذي من شأنه يقودنا إلى إتيان السلوكيات الخاطئة البعيدة كل البُعد عن القيم الخُلقية حيث يقولﷺ **لا تكونوا إمعة تقولون إن أحَسْن الناس أحسنا وإن ظَلمْوا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحَسْن الناس أن تُحسنِوا،**

وإن أساءوا فلا تظلموا صدق رسول الله-رواه الترمذي، فكل فـرد عليـه أن يبحث عن الإجابات المناسبة بسلوكه المسئول، لأن مشكلة الإنـسان المعاصـر تكمن في توقفه عن طرح الأسئلة وتأمل ما يحيط به.

ولذا عليه أن يبتعد عن الإجابات الجاهزة المعطاة له سلفًا والتي ربما تقوده إلى إتيان أفعال خاطئة أو سلوكيات غير صحيحة. وهذا لا يتحقق إلا من خـلال الإلزام الخلقي والإرادة والمسئولية أو الحرية المسئولة، لأن السلوك غـير المـسئول يترتب عليه كوارث وأخطاء يكون من الصعب تصحيحها بشرط أن تكون تلك المسئولية نابعة من داخل الإنسان وليس من خارجه كما أنه لا يجب أن يـشوب هذه المسئولية تحقيق مصلحة ذاتية وقتية أو مصلحة تتعارض مع مصلحة الجماعـة وألا نسعى إلى تحقيق المنفعة المادية فقط لأن الإنسان-بعكس الحيوان-يجـب أن تحكمه الإرادة والأخلاق ولا تقوده الغريزة لأننا كائنات عاقلة.

علاقة السلوك بالدين:

إن الشرائع السماوية جميعها مهما تنوعت طرقها، واختلفت مظاهرهـا تتلاقي جميعاً في أصولها العامة وتتحد في جوهرها الذي لا يختلف لأنها تنبع مـن مشكاة واحدة، فالمشرع واحد وهو الله سبحانه وتعـالى وإن تعـددت الرسـل وتنوعت الكتب، وهي مثلما تدعو إلى التوحيد الخالص، والإيمان الحق، إنهـا في الوقت نفسه تدعو إلى الفضائل السامية التي تهذب الروح وتزكي النفس وتحيـي الضمير وهذه جميعاً أثر من آثار الإيمان وثمرة من ثمراته ومن أهم الفضائل والآداب التي تهذب ذوق المؤمن وتنمي إحساسه وتجلي أخلاقه والتي دعا إليها الرسل جميعاً هي الحياء قال رسول الله ﷺ "إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت" وهـذا معنـاه أن الإنسان إذا لم يستحِ من الله الذي خلقه -والاستحياء ضد الوقاحة- فإنه يمكن أنه يفعل أي رذيلة من الرذائل وأستباح ارتكاب كل ضلالة وفعل كل سيئة.

والحياء يمنع النفس من فعل ما يُعاب أو يُذم والحياء دليل صادق على الضمير الحي ومن تَخْلق به عَصْمةُ من ارتكاب السوء ومخالطة الدنايا والبُعد عن كل رذيلة.

كما أكد القرآن الكريم على أن الإنسان يصنع مصيره فهو المسئول عن أفعاله ولذلك يحاسب عليها حيث يقول تعالى في كتابه العزيز ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنشُوراً اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ سورة الإسراء (آيات ١٣-١٥)

وإذا كان الله قد خلق الناس جميعاً متساوون فإن الخلاف يحدث عندما تتدخل مذاهب الهوى والنظريات فإننا نجد "هوى النفس" يجعل النفوس متناقضة ولكن ليست مختلفة بينما في النظريات المادية نجد أنظمة مختلفة رأسمالية، شيوعية، إيمان، إلحاد، وإنكار للديانات.

لأن هوى النفس إذا دخل في هذه الجزئية أفسد القضية العلمية وأضاع حقائقها فخالق الإنسان هو الله، وخالق السماوات والأرض هو الله وهذا أمر غيبي نأخذه عمن خلق فإن الله سبحانه حينما يعرض قضية غيبية فإنه ينير طريق العقل دائماً بقضية نحسها ونشهدها.

وبعد أن خلق الله الإنسان وعلمه وسيلة التعبير عما في نفسه لغيره، جاء الدين أو المنهج الذي هو تنظيم لحركة خلافة الإنسان في الأرض.

وعِلم الدين يختلف عن العلوم الأخرى حيث أنه يقتضي من الإنسان أن يغير سلوكه في الحياة على مقتضى ما عَلِم بمعنى أنه حُر في حياته يفعل ما يريد ولا يفعل ما يريد، ولهذا نحن نعُلم الإنسان شيئاً يؤثر في سلوكه وأقول له افعل هذا، ولا تفعل ذاك وتأتي كلمة لا تفعل لتتصادم مع هوى النفس وشهواتها، وهذا معناه

اختلاف علم الدين عن العلوم الأخرى التي هي نقل المعلوم إلى المتعلم والإنسان ليس حُر بل يصوغ حركته في الحياة وفق ما قرره الله وهذا يتضح من قوله **أفعل ولا تفعل** ووجود الخطأ سببه أن الناس لا تطبق أحكام الدين بالصورة الصحيحة.

ونظراً إلى أن الدين يتدخل في حركة الحياة لينظمها بإفعل ولا تفعل فإن النفس التي لا تتقبل ما يقيد هواها وشهواتها فينسى الإنسان - منذ آدم و من بعدهم يتناسون - شيئاً مما أمر به الله ومع مرور الوقت يزداد هذا التناسي والتراخي فيما طلبه الله من خَلقْه فيرُسِل سبحانه وتعالى رسولاً إليهم ليذكرهم، بل أنه في بعض الأزمان يبعث الله أكثر من رسول واحد في نفس الوقت مثلما حدث مع إبراهيم ولوط، وهذا معناه أن الديانات كلها تهدف إلى بقاء المنهج الإلهي الذي يتطلب سلوكاً يتعارض مع شهوات النفس فتحدث عندئذ الغفلة والنسيان والانحراف.

وحيث أن إلتقى العاَلَم وأرتقى مما أدى إلى توحد الآفات البشرية التي أصبحت كلها تدور حول دائرة واحدة لأن النفس البشرية واحدة في البلاد المتقدمة وغير المتقدمة لأنه حدث إلتقاء بشري، وما يحدث في العالم في أي بقعة تعرفه البقاع الأخرى وبالتالي لابد من وحدة المعالجة فتشمل الجميع ولذلك جاء القرآن للعالمين كافة حتى تقوم الساعة ولا توجد قضية في العالم تمس حياة البشرية إلى أن تقوم الساعة أغفلها القرآن الكريم لأن التشريعات عندما تأتي لتعالج واقعاً موجوداً في المجتمع وتلافى فساد انتشر ولذلك فهي تعالجه لتشفي الناس منه، وإتباع تعاليم الدين وقاية من آفات المجتمع وانحرافاته والدين ليس موضوعه الآخرة فقط بل جاء لينظم حركة الإنسان في الدنيا أيضاً لأن جوانب النفس البشرية جوانب شتى قد يشبع المال جانباً منها وتبقى الجوانب الأخرى في ضيق وشقاء.[٣]

المبادئ الإسلامية وأثرها في سعادة البشرية:

الحل الصحيح للتغلب على ضعف المسلمين وتأخرهم وإنقاذهم من ورطتهم هو تطبيق مبادئ الإسلام فهذا هو الطريق الوحيد لإسعاد الحياة البشرية. إن مبادئ الإسلام كأس صافٍ فلم نعكره بأهوائنا؟ ثم هو سيف مُشَرَّع في وجه من يريد به كيداً فلم نضعه في غمده؟ حيث أن العبادات مشتملة على مصالح العباد وسعادة الدنيا والآخرة؛ إن الشرع الحكيم يعاملنا بما يليق به من كمال ونحن مأمورون برد الجميل التزاماً لا إحجاماً.

إن القول بمبادئ الحرية والمساواة حينما تَحَدَّث عنها روسو في كتاب **الأخلاق** ونادت بها الثورة الفرنسية لأنها لم تكن تعرف شيئاً عنها أما الدولة الإسلامية فلم تر جديداً فيها لأن هذه المبادئ مقررة بالقرآن قبل أكثر من ألف عام وإذا تجاهلها بعض الطغاة من الحاكمين أمثال الرئيس المخلوع حسني مبارك في مصر ومعمر القذافي في ليبيا في تونس وغيرهم فليس معنى ذلك أنها لم تكن مقررة في نفوس الناس جميعاً ولكن معناها أن الطاغي تجاهل حكم الله، وقد أعترف روسو بفضل عمر بن الخطاب وأثره في تحقيق العدالة والمساواة.

لقد تنبأ كبار المفكرين في الغرب بانهيار الحضارة الغربية ولم يبق من أمل ينقذنا من هذا الفزع المدمر إلا أن نؤمن بأن هذا الكون له خالق، وأن هذا الخالق العظيم قد وضع له قوانين وما علينا إلا أن نسير طبقاً لهذه القوانين لكي نتخلص من عبودية المادة والآلة وبذلك تنجو الإنسانية من الهوة التي تقف على حافتها فهناك العديد من الأنظمة الحاكمة منها الشيوعية — الديمقراطية — الديكتاتورية — الاشتراكية — جميعها نظريات منهارة ونحن لسنا في حاجة إليها لأن لدينا "الإسلام" وحجر الزاوية في نظام الحكم الإسلامي هو أن الحاكم والمحكوم كلاهما على السواء يخشون الله في السر والعلن.

ومن أمراض الحضارة المادية التكالب على الشهوات وابتزاز الضعفاء وإغرائهم بالسقوط حيث لا يستطيعون ارتفاعا عن النزوات الهابطة ولا يلتفتون إلى مستقبل كريم تغمره الطمأنينة النفسية ويعمه الشعور التام بالعدالة والحرية والمساواة وهذه الركائز الأولى في سياسة الإسلام والتى يطلبها كافة البشر خاصة المهمشين والمطحونين وخير مثال على ذلك تيار الربيع العربي الذى يطلب الحرية والعدالة ويسعى إلى إرساء قواعدها والتى دعانا إليها الدين الإسلامي أكثر من ١٤ قرن.

٢-الجانب النفسي:

تتفاوت النفوس رقياً وانحطاطاً وتتفاوت مطالبها ضعة ورفعه ،ولكل درجات مما عملوا ،وباختلاف درجات الأفراد تختلف درجة رُقي الشعوب التي ينتمون إليها وتتفاوت مترلتها في التقدم ولأن غاية الحياة هي اللذة ،وأن المُحرضات الشهوية هي التي تتحكم في العقل البشري ،وأنه يكون من الصعب علي البشر التحكم فيها ولذلك يخضعون في تقديرهم لمدي صحة أو سؤ السلوك لتلك المحرضات الشهوية الحسية حيث يطلبون من الغايات ما تتخيره وتُمليه عليهم مشاعرهم وأحاسيسهم ، وبالمثل نجد التقشف الزاهد أيضاً متلذذ تلجأ نفسه إلي طلب الزُهد والتقشف فالأول يطلب الرخيص المبتذل السهل التناول والثاني يطلب الرفيع السامي وكلاهما ينشد اللذة فيما يطلب ويسعي.

أما الأنبياء والرسل يسلكون مسلك يندرج تحت مسمي **اللذات الراقية** التي تنسيهم شخوصهم وتوِّحد بين ما يقومون به من هِداية وصلة رحم ومودة ورحمة وسعيهم نحو الخير وسعادة أممهم ، ولولا تلك اللذات الراقية ما تقدمت الإنسانية خطوة واحدة في سبيل رقي النفوس وإسعاد الآخرين بإرشادهم للخير، وهذا لأنهم رُسل الحضارة والدعوة للخير هي رسالاتهم.

ولذلك فإن جميع البشر يطلبون السعادة ويتجهون بسلوكهم نحوها ، وإذا كانت غاية كل كائن حي هي تحقيق ما يَسُره فإن النفوس تتفاوت رُقيا وانحطاطا تبعاً اللذات التي يتجهون نحو إشباعها وكرام الناس يطلبون اللذات السامية وعلي رأسهم الرسل عليهم السلام وبالمثل تكون اللذة في الحياة العقلية العلميـة عنـد مجموعة أخري من البشر الذين يجدون اللذة في البحث والتجربة الصعبة ونجـدهم في الحياة الوجدانية لا يتبعون الهوى ،ولكنهم ينشدون الأهداف النبيلة .

ومن أهم الفضائل والآداب التي تهذب السلوك الإنساني وتنمي إحساسه و تجمل أخلاقه **أدب الحياء** لأنه دليل علي حياة الضمير وصدق النوايا ومن تخلق بالحياء فقد عصم من احتراف السوء ومخالطة الدنايا من البشر،وفعل مـا يـسوء ويذم ومن فقد فضيلة الحياء فقد تعري عن كل فضيلة وهذا ما جعل الرسول ﷺ يقول في الحديث الشريف **إذا لم تستح فأفعل ما شئت**، (**صـحيح البخـاري – كتاب الآداب – رواه البخاري بسنده عن أبي مسعود** كمـا أكـد الرسـول ﷺعلي الاهتمام بتعويد الأبناء علي مكارم الأخلاق حيث قال **ألزموا أولادكـم وأحسنوا أدبهم**، ويقصد بذلك القول أن يلازم الوالد ولده وأن يحسن أدبه ويتقن تهذيبه[٤] ومن خلال مما سبق يمكننا القول بأن القرآن الكريم ليس نظرية في شئون السياسة والاقتصاد، كما أنه ليس مجرد طريقة لتعليمنا أُسس الأخلاق والـسلوك ولكنه منهج حياة كامل يهدف نحو استثمار كل موروث الخير في قلوب النـاس للاستفادة منه في إحداث تغيير في النفس الإنسانية من خلال خلق العواطف النبيلة التي تسمو بالإنسان علي مطالب الجسد فتكبح فيه نوازع الشر وهذا ما يجعل من الإسلام بناء إلهي متكامل.

يقول تعالي ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَـالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَراً يَرَهُ ﴾،كما يقول تعالي ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَـا كَـسَبَ رَهِينٌ﴾، كما يقول تعالي أيضاً ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَـةٌ﴾ ولأن الله هو العـدل

والحق فإنه يعرف قدرات النفس البشرية حيث يقول تعالى **﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وعليها ما اكتسبت﴾** وهكذا تحدث القرآن الكريم عن الجزاء العادل وهو يقرر ذلك فهو أصل المسئولية الفردية فيبين سبحانه وتعالي مسئولية الفرد ومقدار ذلك بالنسبة للإساءة إلي الغير إنها العدالة الإلهية.(٥)

٢- الجانب الاجتماعي:

ولقد تضمن القرآن الكريم دستوراً ينظم للإنسان شئون حياته وأمور معاشه وعلاقاته بنفسه وبغيره من بشر وحيوان ونبات وجماد وهذا التنظيم مؤسس على مبادئ حقوق الإنسان لأن المجتمع ليس مجرد اجتماع أفراد في مكان وزمان معينين، ولكنه تفاعل الأفراد في هذا المجتمع يراعي فيه كل مكوناته وحركته في الزمان وآماله وتطلعاته في المستقبل.

بمعني أن التركيب الاجتماعي ليس تركيباً حسابياً ولكنه أشبه بالتركيب الكيميائي الذي تتفاعل فيه كل العناصر التي شكلته.

لذلك قام القرآن الكريم بتحديد الصلة بين الفرد والمجتمع ووضع النظم التي تحقق له العدالة، لأن الإسلام لا يقر الصراع بين الفرد والمجتمع فالنزعة الفردية والاجتماعية أصليتان في فطرة الإنسان وبالتالي يقرر مسئولية الفرد وواجباته نحو نفسه ونحو الجماعة ودمجه في مسئولية مشتركة في المجتمع، كما أشرك المجتمع في مسئوليته عن الفرد.

وقد قضت الحكمة الإلهية من خلق الإنسان تحقيق الاجتماع الإنساني على أساس من القيم الإنسانية الرفيعة التي عبر عنها في الآية الكريمة بالسَكْن في قوله تعالى **﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾** (سورة الروم آيـة:٢) ويقصد بالسَكْن الاستقرار

والمودة والرحمة وهذه الأمور تعد أساس الروابط الإنسانية التي تبني مجتمع الحضارة الإنسانية على أساس سليم.

ويشكل الإيمان في الإسلام القاعدة الأساسية للبناء الأخلاقي كله وهذا يتضح في قول النبي ﷺ **الإيمان بضع وسبعون شُعبة أفضلها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق؛ والحياء شعبة من الإيمان**

وهذا يؤكد أن المجتمع الإسلامي لا يقوم على أساس عِرقي أو طبقي وإنما يُبنى على العقيدة التي تعد أساس البناء الأخلاقي كما أن المجتمع الإسلامي بما يمثله من قيم إيمانية وأخلاقية وإنسانية هو مجتمع مفتوح لكل من يؤمن بعقيدة واحدة، وهذه الأخوة تعني المساواة في الاعتبار البشري، فالجميع متساوون لا تمايز أو تفاضل بينهم إلا بالتقوى فهذا هو الاعتبار الوحيد الذي يؤخذ به، وبالتالي إذا كانت التقوى معيار التفاضل بين البشر فلا يجوز لأحد أن يسخر من غيره **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ﴾** (سورة الحجرات آية ١٣).[٦]

كما نلاحظ أيضاً أن الإسلام قد عني بالرعاية الاجتماعية للأفراد حيث جعل هذه الرعاية نوع من أنواع العبادة التي يتقرب بها الإنسان إلى الله، والزكاة عماد التكافل، والهدف منه الوقاية من مذلة حاجة الأكل والشرب ولتمكين من تحقيق الاعتبار البشري للإنسان وحماية للقيم العُليا في المجتمع من التدهور واللامبالاة بها، وهذا الاتجاه جعل للمال منفعة عامة ووظيفة اجتماعية.

بالإضافة إلى الدعوة للتعاون والتراحم والمحبة حيث توجد العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحث على هذا السلوك الإنساني المتسم بالأخلاق الحسنة حيث يقول محمد ﷺ **لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، رواه الإمام مسلم في صحيحة** وهذه الأخلاق الحسنة يعززها العديد

من السلوكيات مثل التخلق بسمة التسامح والإيمان والروح الإنسانية الشاملة وهي تتجلى في قوله تعالى ﴿ **مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً** ﴾ (سورة المائدة – آية: ٣٢) ولهذا لا يجب توجيه الأذى إلى فرد من أفراد المجتمع لأنه حينئذ يكون قد أضر بالمجتمع كله.

المنهج الإسلامي:

إن الإلزام الأخلاقي ينطوي عليه نداء الواجب للشخص ومطالبته له بالعمل من تحقيق التعاون والسلام بين كل البشر، فنحن نحتاج إلى العمل الدءوب نحو الربط بين المسئولية الذاتية والمسئولية العالمية فكلا المسئوليتين مرتبط بالآخر، وكل منهما متضمن في الآخر لأننا نعيش اليوم في عالم مفتوح وفي مجتمعات تخضع لتأثيرات عالمية وهذا يجعل المسئولية الذاتية –بمعنى معين– مسئولية عالمية، فكل تصرف فردي يجر وراءه دوائر أخرى وله نتائجه المترتبة عليه.

وعلى هذا النحو يمكن صياغة المنهج المقترح للتغلب على ما يسود العالم اليوم من كوارث وأبشع أنواع الجرائم وأشد أعمال العنف فهذا جميعاً يرتكب باسم الإنسانية وهو بعيد كل البُعد عن أي إنسانية أو سلوك إنساني وذلك يتضح في قوله تعالى ﴿ **لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وبشرى للمحسنين إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ﴾ (سورة الأحقاف: الآيتان ١٢,١٣) .

فإذا أحببنا هذا العالم فينبغي أن نفعل ذلك ونحن على وعي من أن كل الخيرات والطيبات التي نتمتع بها في هذا العالم تأتينا من عند الله وأن يعرف الإنسان أن السلوك المسئول للإنسان يُعد خطوة متقدمة على طريق وحدة البشر فالجميع أبناء آدم والإسلام يطلب منا تحقيق وحدة الإنسانية وأن نخرجها من حيز الإمكان إلى حيز الوجود الفعلي وأن نتوصل إلى السلام بالأخوة في العقيدة وقد

لخص النبي محمد ﷺ هذا السلوك حينما قال "إنما بُعثت لأتمم مكـــارم الأخـــلاق" رواه البخاري في كتاب الأدب المفرد.

ومن هذا المنطلق يُعد الموقف اللا أخلاقي أو الإلحادي لبعض العلمـــاء في العصر الحديث مرفوض في العالم الإسلامي، لأننا نسعى نحو نشر السلام في العالم بإعتبار ذلك غاية نهائية.

بمعنى أن الإسلام يدعوا إلى التعاون والتآخي وعدم رفض الآخر والسبيل إلى ذلك هو التقوى، حيث يعطي الإسلام للممارسة العملية للعقيـــدة في حيـــاة الناس ومعاملاتهم اليومية نفس الأهمية التي يعطيها للأسس الخمسة التي يقوم عليها الإسلام وهي الشهادة وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان والحج إلى بيت الله الحرام وهذا يتأكد في قوله تعالى **﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾** **(سورة الأنعام – آية: ١٦٢)**.

وهكذا لا يجوز قصر مفهوم العبادة في الإسلام على المعنى الضيق الـــذي يعني أداء الشعائر الدينية المعروفة فكل عمل يقوم به الإنسان في حياته اليومية دينياً كان هذا العمل أم دنيوياً – يُعد عبادة ما دام قد قُصد به وجه الله تعالى والقيـــام بأداء حقوق الناس استجابة لطلب الله تعالى بإصـــلاح الأرض ومنـــع الفـــساد والإنسان لا يستطيع تحمل مسئوليته تجاه الآخرين وتجاه العالم بصفة عامـــة إلا إذا تحمل مسئوليته الذاتية بطريقة سليمة.

والتزامات الإنسان تجاه المجتمع الإنساني ليست التزامات مفروضة عليـــه من الخارج وإنما هي التزامات مرتبطة أشد الارتباط بوجوده الإنساني وكل إنسان سليم العقل يشعر بأنه لو لم يتحمل مسئوليته تجاه الآخرين فإنه لا يجـــوز لـــه أن ينتظر من الآخرين أن يتحملوا بالنسبة له أية مسئولية فلـــو لم أعـــدل في حـــق

الآخرين فإنه لا يجوز لي أن أنتظر منهم أن يعدلوا في حقي. والإنسان الذي يتنكر لإلتزاماته الخلقية تجاه الآخرين هو إنسان يعزل نفسه عن المشاركة الإنسانية.

وهذا يرجع إلى أن الإنسان بطبيعته كائن اجتماعي محتاج إلى التعامل مع أفراد المجتمع وبالتالي لابد أن يتحمل مسئوليته تجاه هذا المجتمع وأن نتحلى بالإيمان والسلوك القويم.

ويمكن فهم السلوك العالمي المسئول على خير وجه إذا نظرنا إلى النـــاس جميعاً بوصفهم جماعة تستقل ســفينة واحــدة تمخــر عبــاب البحــر ولهــذا مصيرهم مشترك.

وإذا كان العلم قد تناول الأخلاق والمعاملات مثال ذلك مــسالة الربــا وتحريم الدين له، وتحليل العلم الإقتصادي، ومــسألة العقوبــات الــتي وردت في الكتب المُنزلة كقطع يد السارق ورجم الزاني مثلما ورد في القرآن الكريم، ومــا قاله العلم الجنائي بعد تحويره.

وإذا كان يوجد خلاف، فإن هذا الخلاف ليس خلافاً بين الدين والعلــم لأنه لا يتناول أصول الدين ولا ينتقص سُنن العلم بل هو خلاف علــى تفاصــيل ليس الخلاف عليها محرماً في الدين ولا في العلم وكيف يكون خلافاً في أصــول الدين لا يتسامح الناس فيه وقد قال تعالى ﴿**إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء**﴾ فمثل هذا الخلاف مما تقع عليه المغفرة قطعاً أي أنه خلاف لا يمس أصل ثابت من أسُس الدين ولا قاعدة مقررة من قواعده.

والمسلمون في ذلك كغير المسلمين، لأن طبائع الأديان واحدة مثلما قلنــا من قبل (كما تقدم) إن الإسلام دين يقوم على العدل والإنصاف وإعطاء كل ذي حق حقه بصرف النظر عن اللون أو الجنس أو العقيدة.

والقرآن الكريم بين لنا أن العدل هو أساس المُلك والدليل على ذلـك أن العقوبات التي جاءت في شريعة الإسلام إنما جاءت لحماية الإنسان والمجتمع مـن الفساد والإرهاب والظلم وأيضاً للمحافظة على كرامة الإنسان وعرَضْـه ومالـه وشرفه وحين يتحقق العدل يشيع الأمن والأمان والاستقرار بين الناس وفي المجتمع.

الإسلام يوازن بين الفرد والمجتمع:

قال تعالى ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ" سورة العصر، وقال تعالى "وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ المائدة كما قال آية (٢)، قـال رسـول الله ﷺ "كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته"

خصائص النظام الأخلاقي في الإسلام:

١- أنه يجعل إبتغاء وجه الله ونيل رضاه غاية منشودة في الحياة الإنسانية ويجعـل ذلك مقياساً سامياً للأخلاق.

٢-أن الأخلاق موجودة بالفطرة في كل إنسان وبالتـالي لا تكـون الأخـلاق بالتحريض والترغيب وأنها ليست مبتكرة.

٣-مطالبة الإنسان بإقامة نظام للحياة يقوم على المعروف ولا يشوبه شـيء مـن المُنكْر والدعوة إلى فعل الخير في كل زمان ومكان، وإشاعة هذا الخير في العالم كما كفل الإسلام للمرأة جميع حقوقها وكَرمْها مِثـل الرجـل في الحياة الاجتماعية على العنصرين معاً كما يلي:

-رفع الظلم التاريخي ولم تسترد المرأة إنسانيتها إلا في ظل الإسلام.

-أعطاها جميع الحقوق الفردية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية مع مراعاة طبيعتها كامرأة في مجال العمل.

-كذلك شجع الإسلام العلم والعلماء وأشاد بالعقل والعقلاء قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ {الزمر ٩} وقال أيضاً ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ {المجادلة ١١} وقال أيضاً ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ {فاطر ٢٨} وقال تعالى﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ {الأنفال/٢٢}.

كما أهتم الإسلام بالدعوة إلى العلم والعمل القائم على التجربة واليقين وليس بالهوى أو الظن كما يلي:

قال تعالى ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ﴾ {الأنعام ١١٦} وقال تعالى ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ {الروم ٢٩} وقال تعالى ﴿إِنَّ كَثِيراً لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ {الأنعام ١١٩} وأن العلوم لابد أن تقوم على التجربة:

قال تعالى ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ {الإسراء/٣٦}.

وللعالم على العابد درجة :

العلماء ورثة الأنبياء والعلوم المطلوبة هي علوم الدنيا والدين قال تعالى ﴿قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ﴾ {يونس١٠١}

وإذا تكلمنا عن الحركات التي تسمي نفسها **إسلامية** والتي هي في كثير من جوانبها بعيدة عن الإسلام وهي تجاهر بأن لديها الحل لجميع مشاكل المجتمع

وتستخدمه كشعار رغم أنها لا تستند إلى بُعد تحليلي لكيفية تطبيق هذا الحل أو أنها تقدم حلول سطحية تتسم بالسذاجة.

وهذه الحركات تتجاهل التقدم الهائل الذي حققته الإنسانية في المجالات المختلفة منذ ظهور الإسلام وتنكر على الناس الإستفادة بما أتت به العلوم التطبيقية والاجتماعية بل والعلوم البحتة، و رفض كل ما لا يجدون له أصلاً في كُتب الأولين. كما أن هذه الحركات تنادي بعودة المرأة إلى ما كانت عليه قديماً من البُعد عن المشاركة في المجتمع بحيث تقبع في البيوت.

نحن اليوم أبناء الأمة الإسلامية والعربية أحوج ما نكون إلى التمسك بالإسلام ومبادئه التي تدعو إلى التسامح والمساواة والرحمة والعفو والتي تحترم إنسانية الإنسان بمبادئها التي تفوق ما تنادي به الهيئات والمنظمات الدولية من شعارات حقوق الإنسان.

فأين الدول المتقدمة من حقوق الإنسان؟ وأين هي الاتفاقيات والمعاهدات التي تكفل للإنسان الأمن والسلام؟

إن السلام لن يتحقق إلا بالحرية، وإنسانية الإنسان لا توجد إلا حينما يتحرر ضميره وتتحرر حياته من سلطان العباد إلى سلطان رب العباد الواحد القهار نحن في حاجة إلى الإسلام ليحقق عند تطبيقه العودة إلى التآلف مع النفس وسلام مع بعضنا البعض، وأن نشعر مع أنفسنا بعزة وكبرياء الإسلام.

إن إحياء الثقافة العربية يحتاج إلى تجديدها وإعادة بنائها ورؤية حديثة تخلصها من الشوائب التي علقت بها طوال سنوات عديدة من الجمود والتقليد والركود خلال عصور التخلف والانحدار والديكتاتورية حتى يمكنها أن تواصل المسيرة من خلال ربط ماضيها بحاضرها لتحقيق مستقبل أفضل.

إن الثقافة هي نتاج تراث المجتمع وحضارته على مر العصور والأزمان بما يتضمنه من عقائد وعادات وسلوكيات وتراكمات من القيم الأخلاقية والفكرية ومما خلفته الأجيال السابقة في المجتمع من عمران وعلوم وآداب وفنون، هذا جميعه يمثل هَوّية المجتمع وخصوصيته التي تميزه عن أي مجتمع آخر.

٤- الجانب السلوكي : العلاقات السلوكية والأخلاقية

تتجلى الأخلاق الحميدة في المظاهر السلوكية التالية:

السلوك الحسن – دفع السيئة بالحسنة – فعل الخير – المسارعة إلى فعل الخير – الحكمة – الإصلاح بين الناس – الصدق – قول التي هي أحسن – البشاشة والوداعة – الإستقامة – سلامة القلب – العفو عن الناس – الصفح – السلام – الرحمة – المودة – التعاون – الإخاء – الإحسان – الإيثار – إكرام الضيف - العفة – غض البصر وحفظ الفرج – الإعراض عن اللغو – القصد في المشي والخفض من الصوت – السكينة – الإعتدال – شُكر النعمة - الصبر – كظم الغيظ – التواضع – التعاون مع الآخرين.

أما الأخلاق الذميمة فتكون في المظاهر التالية:

الإفساد – شهادة الزور – الخيانة – الإستكبار – الظلم – القتل – الفِسق – السُكر – الزنا – السخرية – السرقة – البِغاء – الغرور – التكبر – الجُبن – الغش – إتباع الشهوات – الخُبث – النميمة – الكذب – سوء الظن – الفجور – الغيبة - الجهر بالقول السيئ – الفضول – الإختيال والعجب – المخاصمة والمنازعة – الفعل يخالف القول – الرياء – التجسس – إستراق السمع – الحسد – الغيرة – التشهير.

وقد قال الله تعالى عن السلوك الحسن ﴿**الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ {آل عمران/١٣٤}

هذه الآية تدل على أنه يجب على المؤمن أن لا ينفعل إنفعالاً نزوعياً ليرد على من يفعل به السوء لأنه يكظم غيظه ويكتمه ولا يسمح لنفسه بخروج شحنة الغضب على من آذاه، كما قال الله تعالى﴿**وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ**﴾ {الحجرات/١١} .

ويمكننا تبين كيفية تربية الأبناء من تعاليم الإسلام ألا يختلط الأبناء بذوي السلوك السيئ أو العادات المرذولة من أقرانهم لأن ذلك يؤثر في سلوكهم وتنتقل عدوى الخُلق السيئ من الآخرين إليهم فقد جاء في الحديث "مِثْلُ الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير.

ولتحقيق القيم الأخلاقية في المستقبل لدى كافة الشعوب الإنسانية لابد علينا **أولاً**: من إدراك معنى **الإنسانية** وما يحتويه هذا المفهوم من معاني سامية تشمل سائر النواحي الإنسانية من رُقي وسمو وآدمية، وعدم إهدار حقوق الآخرين واحترام الذات مثلما نطلب مراعاة حقوق الآخرين والاهتمام بلغة الحوار وإزالة ما يقتضيه من ملابسات ومغالطات تعوق العلاقات الإنسانية عن التواصل لتحقيق التقدم الحضاري الذي ننشده في المستقبل.

ولأن السلوك سواء كان خير أو شر يرتبط في الأساس بحرية الفرد فلابد أن يكون لدى هؤلاء الأفراد قَدْر من الحرية وبما يجعلهم قادرين على إتيان الفعل والسلوك الذي قد نَصْفه بأنه يفسد الأخلاق أو يصُلحها.

كما أنه يجب على الإنسان أن يعرف ما هو خير وما هو شر حتى يمكنه إصدار الحُكم الخُلقي الصحيح، ولتحقيق ذلك لابد من إدراك ماهية الخير و ماهية الشر للوصول إلى درجة الأخلاق القويمة وهذا يترتب عليه فحص المطالب

والغايات التي يَنْشدها الإنسان وهي ترتبط بالعقل والنفس والجسد، وإذا لم يتحقق الفعل الخُلقي المناسب فإن ذلك يرجع إلى افتقاد الفرد المُناخ المناسب الذي يساعده على تحقيق هذه الغايات.(٧)

وإذا نظرنا إلى عالمنا المحيط بنا فإننا نلاحظ الكثير من التغيرات الأساسية التي طرأت عليه بسبب أننا أصبحنا نعيش في عالم متداخل الثقافات متشابك الحضارات، مما أدى إلى إهتزاز القواعد والقيم القديمة بصورة حادة الأمر الذي يجعلنا ندق ناقوس الخطر وأن نتنبه إلى التيار القادم و نحذر من أن يجرفنا بعيداً عن القيم والمُثل العُليا فلا نتسم بالأنانية، وأخذ ما هو نافع فقط من العلاقات الإنسانية التي نتعامل معها وجعل أساس التعامل المنفعة الشخصية وغير ذلك من الظواهر السلبية التي تؤدي إلى الانهيار الأخلاقي وإلى الغزو الثقافي.

والأزمة الحقيقية التي يعاني منها الإنسان العربي المُسلم هو الانفصال عن جانبه الروحي حيث أصبح يعاني من التمزق والتشتت وإرادته مسلوبة وطاقته مشلولة فلابد من بناء إنسان جديد قادر على مواجهة التيارات المضادة التي تحاول شدنا نحو الخلف والخضوع للآخر، ولذلك علينا التمسك بالثقافة العربية فنحن في أشد الحاجة إلى صحوة فكرية وثقافية تستند علي قيم خُلقية نابعة من جذورنا العربية الأصيلة تساعدنا على التقدم والرُقي.

والسؤال الذي نطرحه الآن ما هي مهمة القيم الأخلاقية في تحقيق التنوير والتطوير للأمة الإسلامية؟

إن ذلك لن يتحقق إلا من خلال نزع القيد عن جذور **عدم الإبداع** وذلك لتغيير الواقع وإحداث النهضة والوسيلة إلى ذلك هي أن يقود الفكر البشرية لإحداث النهضة والتنوير، ورغم أن هذا القول قد يُقال عنه أنه مهمة مستحيلة غير قابلة للتحقق وأنها فعل يتسم بالسلبية، إلا أن التجارب السابقة أثبتت أن ذلك

الأمر رغم صعوبته إلا أنه في الوقت نفسه يحمل في طياته الطاقة الإيجابية التي ستظهر الإنسان المُبدع القادر على العطاء والسلوك الصحيح بشرط أن يكون لدينا الفكرة الصحيحة لأن التغيير لابد أن يوجد في صميم فكرة حقيقية؛ تلك الفكرة التي هي من صنع العقل المُبدع القادر على تغيير الواقع ومن خلال القدرة على تكوين علاقات جديدة إنها نقطة البداية للتحرر من الَوهْم وسيطرة الماديات التي تعوق التفكير الصحيح، وهذا ما أكده الدين الإسلامي ودعا إليه وهو إعمال الفكر والنظر في الكون وإلتماس العلم والبحث إلى الأبد ولذا علينا السعي نحو التوفيق بين العقل والروح الذي يتشكل من خلالهما قيم الإنسان وسلوكياته المختلفة والإنسان يحتاج إلى الأخلاق والسلوكيات الصحيحة لتحقيق السعادة التي ينشدها.

أي أن الإنسان يستطيع أن يُسخر عمله وسلوكياته وفكره وقدراته من أجل الخير الإنساني مما يجعل الفرصة مواتية لصنع الحضارة والتقدم.

كما يستطيع الإنسان أن يفعل العكس من ذلك تماماً ويُسخر كل إمكانياته للهدم والتخريب والتدمير وهذا الأمر نلمسه ونلحظه حيث يحاول بعض ضعاف النفوس وفاقدى الوعى والخلق القويم تشويه طهر ونقاء الثورة المصرية، وهنا تكون الحروب والدمار الذي يعصف بكل شئ جميل صنعه الإنسان.

ولذلك جاءت حاجة الإنسان إلى الدين من أجل تلبية حاجاته الروحية وأيضاً الدنيوية وإذا تأملنا التشريع والعبادات نجد أنها جميعاً تنطلق من منطلق واحد هو مصلحة الإنسان وسعادته في الدنيا والآخرة وتحقيق التوازن في حياته وبعد مماته دون أن يطغى أحدهما على الآخر، وبذلك يكون الدين منال ومؤثر في بناء الحضارة وهذا أمر لا يمكن تجاهله فهو دعوة إلى صنع الحضارة وتطوير الحياة الإنسانية.

مراجع الفصل الثالث

١- أرنولد بينت –الذوق الأدبي- ترجمة د/ على محمد الجندي –مكتبة نهضة مصر – الفجالة ١٩٥٧ ص ٣٤.

٢- الإمام/ أبو على المودودي –مرجع سابق- ص ٣٣.

٣- الشيخ/ محمد متولي الشعراوي –معجزة القرآن- المختـــار الإســـلامي للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة ط ١ سنة ١٩٧٨ ص ٣١.

٤- د/ أحمد عمر هاشم –الإسلام والشباب- دار النهضة للطباعة والنـــشر سنة ١٩٩٢ ص ٣٧.

٥- د/ محمود حمدي زقزوق –مرجع سابق- ص ٢١.

٦- نفس المرجع السابق ص ٢٣.

٧- د/ أحمد عمر هاشم –مرجع سابق- ص ٣٧.

خاتمـــة

وفي نهاية هذه الدراسة نحب أن نؤكد على أنه من الضروري التنبيه إلى ما يحيط بنا من صعوبات وتحديات تعوقنا عن التقدم والانطلاق نحو آفاق أرحـــب، ولذا نحن نحتاج كأمة إسلامية وشعوب عربية إلى الاهتمام الحقيقـــي والتكـــاتف والإخلاص والعمل الجاد لتحقيق الصحوة والنهضة في شتى جوانب حياتنا وكمـــا أشرنا من قبل إلى أن هذا الحديث موّجه في المقام الأول إلى الـــشباب والنـــشئ وجميع التربويين والمفكرين والكُتاب ورجال الدين سواء كان الدين الإسلامي أو المسيحي أو اليهودي لأن الجميع ينبعون من مشكاة واحدة هي الله سبحانه وتعالى فنحن جميعاً مسئولون أمام الله لتحقيق النهضة والتقدم المنشود فلقد آن الأوان إلى أن نتكاتف جميعاً لتحقيق النهضة والتقدم وإذا كنا في هذا البحث قد جعلنا الدين الإسلامي هو الأساس الذي انطلقنا من خلاله فهذا يرجع إلى أنه قد أحاط بكـــل شئ وقدم لنا منهج واضح به كل التفاصيل حيث قال تعالى **﴿مَّـــا فَرَّطْنَـــا فِـــي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾** {الأنعـــام/٣٢} كما يمكننا تبين شموله للحياتين الدنيا والآخـــرة والتوازن والاعتدال بينهما من قوله تعالى **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾** {المائدة/٨٧} وقوله تعالى **﴿ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾** {الأعراف/٣١} وقوله تعالى **﴿ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾** {غـــافر/٣٩} وقدم الرسول ﷺ المثال الصحيح للاعتدال والسعي للعمـــل في الحيـــاتين الـــدنيا والآخرة عن ابن مالك قال الرسول ﷺ "إني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سُنتي فليس مني" (صحيح البخاري).

لتجديد الفكر الإسلامي وتحقيق نهضة الأمة:

علينا إدراك ما يلي:

★ أن الفطرة قاسم مشترك بين البشر في كل المجتمعات وكل الشعوب والأمم مهما اختلفت الأجناس والألوان واللغات.

★ أن نحمل رؤية معتمدة على المعرفة والأخذ في هذه الرؤية بثوابت البُعد الإنساني لما تحمله من قيم الآخرين.

★ أن الحضارات تراكمية وبينها تفاعل وأخذ وعطاء ولذا علينا أن نبدأ من حيث أنتهى الآخرون.

★ أن التفاعلات تكون في الأفكار والثقافات وهذا بالتالي له تأثير في نسق القيم السائدة ولذلك لابد من تأسيس المجتمع على منظومة راسخة من المبادئ والقيم خاصة للشباب والنشء لحمايتهم من أى تيارات سلبية وافدة.

★ أن منظومة القيم تستمر وتنتقل من عصر إلى آخر ومن حضارة إلى أخرى ومن بلد إلى آخر، خاصة في عصر السماوات المفتوحة بفضائيات لا حصر لها وبالتالى يجب على الجميع قادة وتربويين وإعلاميين ومفكرين تأسيس الهوية العربية الإسلامية.

★ أن يضع كل إنسان في داخله البوصلة الإيمانية الـتى توجهه التوجيه الصحيح وهو الضمير أن يجعله دعامة وأساس لكل ما يقوم به في حياته حيث قال لنا سيد الخلق محمد (ص): "**استفت قلبك وإن أفتوك**" فبدون الضمير ومراعاة خشية الله في كل ما نقوم به لن نصبح بحق جديرين

بانتسابنا إلى أمة من أعظم الأمم أمة محمد صلى الله عليه وسلم نبي جـاء ليرسي قواعد مكارم الأخلاق.

★ وجود منظومة اتصالات تجاوزت كل الحدود والحواجز وهـي مدعمـة بالصوت والصورة.

وأخيراً نسأل الله تبارك وتعالى أن يتقبل منا هذا العمل البسيط وأن يجعله في ميزان حسناتنا، وأن ينفع به كاتبه وقارئه، كما نسأل الله تعالى أن يكـون هذا الكتاب خطوة حقيقية لتطوير الفعل النهـضوي للأمـة الإسـلامية والشعوب العربية، وأن يكون منطلقاً للجميع الذين يبحثون عـن وسـيلة حقيقية وفعالة للتقدم والرقي.

د/ ناهد نصر الدين عزت

مؤلفة الكتاب في سطور :

دكتورة ناهد نصر الدين عزت.

- دكتوراه فلسفة يونانية وعلم جمال بمرتبه الشرف الأولي كلية الآداب – جامعة القاهرة سنة ٢٠٠٤.

- دبلومة عامة في التربية – معهد البحوث التربوية – جامعة القاهرة سنة ١٩٩٠ عضو بالعديد من الجمعيات منها :

- الجمعية الفلسفية المصرية.

- الجمعية المصرية للمكتبات والمعلومات.

- الاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات.

- المشاركة ببحوث ودراسات في العديد من المؤتمرات والندوات داخل وخارج جمهورية مصر العربية في مجالات الدراسات الإنسانية والقيمية والفلسفية والفنون والآداب وعلم الجمال ونظم المعلومات.

- إعداد العديد من الكتب والأدلة / طبع جامعة القاهرة منها دليل جوائز الطلاب – دليل المؤتمرات – النشرة الرسمية – مبانى جامعة القاهرة في مائة عام – دليل المبانى الحديثة – دليل اصدارات الجامعة دليل الشعارات – دليل الوحدات ذات الطابع الخاص.

- تحرير وإعداد "مجلة المعلومات" مجلة دورية محكمة منذ عام ١٩٩٤ حتى عام ٢٠٠٣.

- اصدار العديد من المؤلفات منها :

- توظيف القيم الفلسفية في تدعيم الانتماء لدى الشباب عام ٢٠٠١.

- الرؤية النقدية عند انتصار العقيل — المكتبة المصرية عام ٢٠٠٧.

- التأمل والإبداع في فلسفة أفلوطين الجمالية — مكتبة بستان المعرفة عـــام ٢٠٠٩.

- مفهوم الفانتازيا في أعمال أفلاطون وأرسطو مكتبة بستان المعرفـــة عـــام ٢٠١٠.

- المشاركة ببرامج تدريبية في مجال التنمية البشرية والقيم الفلسفية في وزارة الشباب، وفي الجمعيات الأهلية.

- أمين عام جمعية شمس النيل لبحوث وعلوم الأهرام.

- أمين عام الوكالة الدولية للتنمية والدراسات الاستشارية.

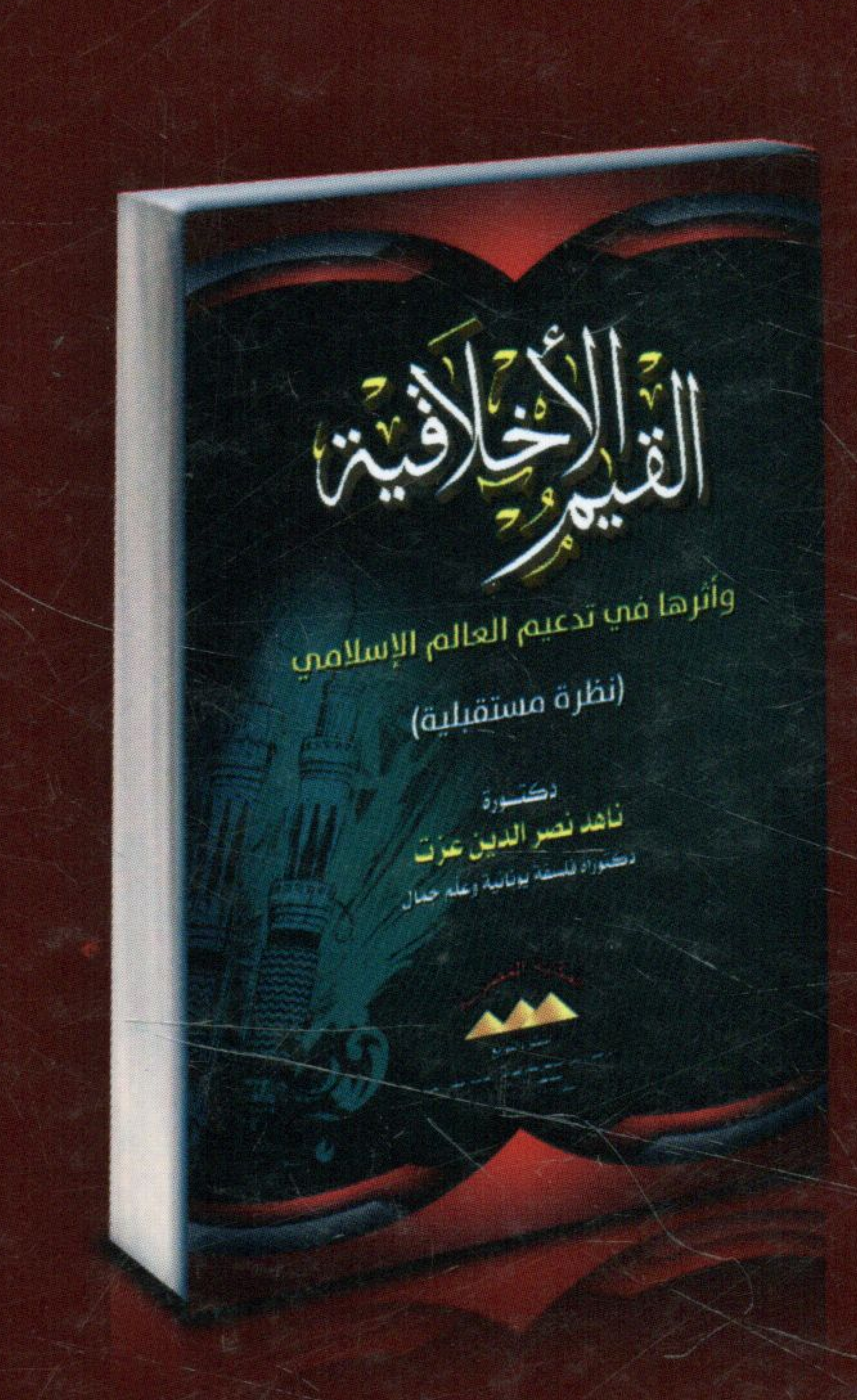
هذا الكتاب :

- عندما يسود الشر ويهيمن للظلم ويرفرف طائر المـــوت الحـــزين علـــى الشباب الذى أهُدِر دمه في لحظة غدر، عندما تنهار القيم والمبادئ والمُثُل العُليا في سبيل تزييف الحقيقة ومحاولة طمس معالمها، عندما يختفى القلـــم ويظهر بديلاً عنه السلاح مدوياً.

- عندئذ نكون جميعاً في أشد الحاجة إلى إعادة بناء منظومة القيم ليس على مستوى مصر فقط ولكن على مستوى الوطن العربي والأمة الإسلامية في محاولة إلى إنقاذ المستقبل من براثن التخلف والجهل والظلـــم متخـــذين قدوتنا محمد (ص) رسول العدل والإنسانية الذى قاد الأمة نحو حـــضارة جابت الآفاق بدعوتها إلى سيادة العدل والحب والسلام والطهر والنقـــاء ليس للأمة الإسلامية فحسب ولكن لكافة البشر وعلينا جميعـــاً التحلـــى بخُلقِه القويم الذى وصفه الحق تعالى في قوله "وإنك لعلى خلق عظيم".

د/ ناهد نصر الدين عزت

الفهـــرس


القيم الأخلاقية
وأثرها في تدعيم العالم الإسلامي
(نظرة مستقبلية)
دكتورة
ناهد نصر الدين عزت
دكتوراه فلسفة يونانية وعلم جمال

